الشاعر والقمر

شعر: عبدالغني أحمدالحداد

« حلق الشاعر على جناح الشعر الى القمر ليبني بيته هناك ، ولكنه عاد الى الارض وفي اعماقه مشاعر ضمت الانسانية مدى واتساعها » .

اسرج الشعر (براقا) شاعر ... يبتغي بيتا له فوق القمر

ومضى ، فالشهب تزهو حوله ... وهو يختال بأثواب الظفر

راح يبني بيته لا من ثرى ... بل رؤى تزهو ، وشعر يزدهر

يسكب النجوى حداء رائعا ... يسكر البدر بحرف مبتكر

ايه يا بدر ، ايا كنز الرؤى ... يا خيال الشعر ، يا دنيا السحر

مرفأ العشاق ، يا اغرودة في لهاة الشعر تزهو بالصور

دافق انت بأطياف المنى لست من ترب وما كنت حجر

سوف تبقى عالما من فتنة تسكب النور ، وتهفو للبشر

• • •

نظر الشاعر من عليائه فاذا الحب على الارض انتحر

وصحا الشاعر من احلامه ورنا للارض ، وانهالت عبر

لاحت الغبراء في دوامة من عذاب وشقاء وضرر

واذا الارض وفي الامها عاصف الياس عليها قد ظهر

الملايين تلظت من طوى مدت الكف .. تهاوت في الحفر

والدم المسفوح في ارجائها راعف يهمي كاسيال الشرر

ودخان الحرب في اناتها مدن تهوي بعصف قد هدر

يرتمي الاطفال اشلاء على رعشة الخوف واشلاء الزهر

ضحكة تزهو بثغر باسم لهي اغلى من حضارات البشر

• • •

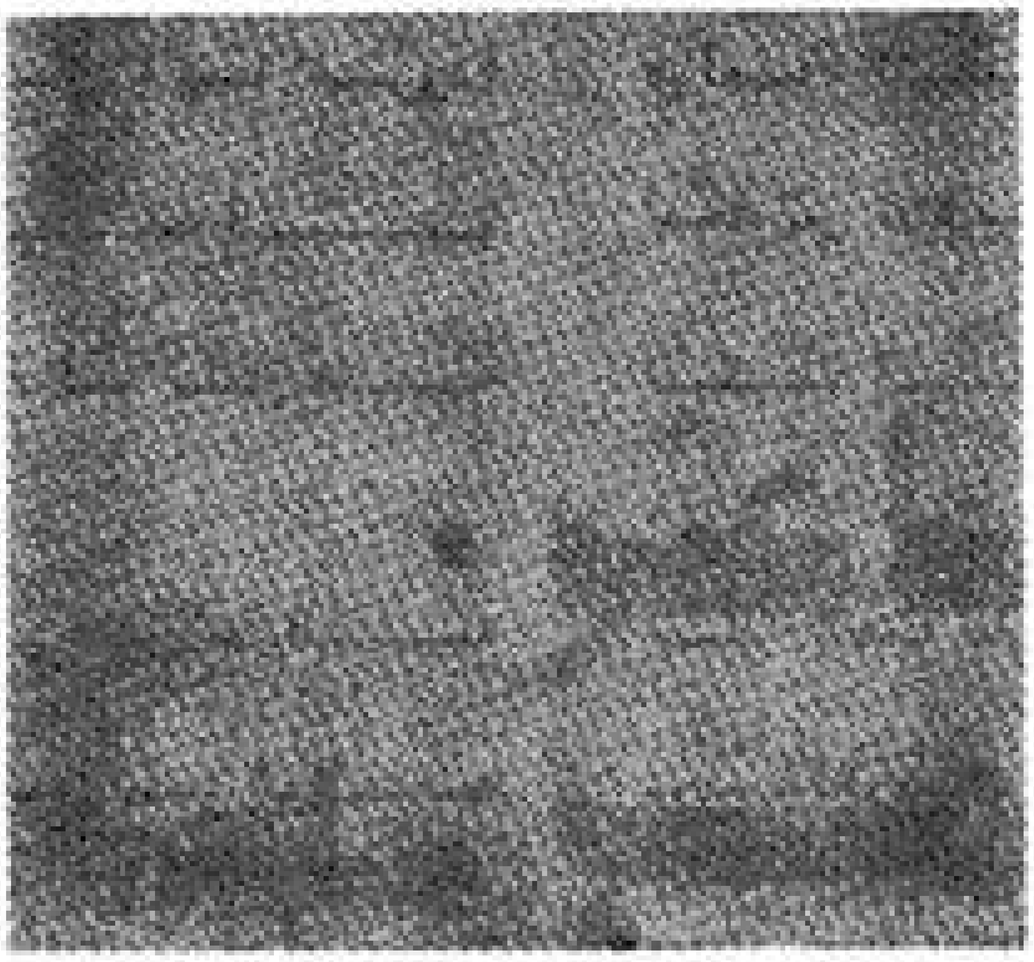
عاد للارض وفي احنائه فكرة تسمو على كل الفكر

كيف تبني في الاعالي مسكنا وخيال البؤس في الارض عبر

طهروا الغبراء من الامها وامسحوا دمع اليتامى المنهمر

حين يمضي الخوف عن ايامنا ويوارى عن امانينا الخطر

ويزول الياس من اعماقنا سوف نبني بيتنا فوق .. القمر



راحة النفس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر: حسن سالم الشريف

رغم هذا السرى وذاك المسير جاهدا ، لم اعد بشروى نقير

راحة النفس ، ما السبيل اليها ؟ فيم تبدو ؟ وراء اي الامور ؟

في امتلاك الرقاب ؟ في الجاه ؟ ام في ... وفرة المال والثراء الكبير ؟

في اطواف البلاد ؟ في الحل ؟ في الترحال ؟ ام في ركوب كل مثير

في قيام الليال ؟ ام في صيام الد... هر ؟ ام في بناء عالي القصور ؟

في لذيذ المنام ؟ ام في سهر الل... يل حتى طلوع فجر منير ؟

في القماس الجمال في الكون ؟ ام في ... طلب المجد ؟ ام نوال العسير ؟

في اتباع الهوى ؟ في نصرة الحق ؛ ... وانصاف كل عان كسير ؟

راحة النفس في اجتناب المعاصي ؟ ... عمل الخير ؟ في اتقاء الشرور ؟

راحة النفس مسح دمعة حزن ... من على خد بائس او فقير ؟

راحة النفس بسمة ، ضحكات ... قد اضاءت بوجه طفل صغير ؟

ان يكن لا ، فاين ؟ في اي شيء ... راحة النفس واكتمال السرور ؟

• • •

جئت من كان قبلنا من اناس ... بين امس وسالفات العصور

فاجابوا جميعهم : لو علمنا ... ما اقمنا على الشقاء الكبير

رحلة ، عودة لما كنت فيه ... من ضياع ، تمزق وقصور

قلت : يا نفس ذاك اخر علمي ... انا لم اوت علم كل الامور

ان للعجز راحة ، فاستريحي ... واريحي من العناء المرير

ربما كان عجزنا سبب القوة ... فينا ، فاهدئي ، لا تثوري

• • •

واتاني الجواب لحظة صدق : راحة النفس في خلاص الضمير

قصة

صوت من الداخل

بقلم : اقبال أحمد عبدالوهاب الزرقي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان الضباب يزداد تلبدا ، والنهار العابس يتهيأ لارتداء ثياب الليل حين دلفت نوال الى داخل البيت ، حاملة حقيبتها التي ضاقت بالكتب والاوراق .. ازدادت خطواتها اتساعا وهي تثب الدرجات ، ورمت بحقيبتها في اقرب موضع لمحته ببصيص من الضوء المختفي في عينيها المتعبتين .

استلقت على سريرها بملابسها ، وحاولت ان تجمع شتات افكارها بعد ارهاق يوم دراسي طويل .. ، وما ان بدات في التحليق الى فوق ، حتى ايقظها صوت امها تخاطب ابيها :

ـ ما هذا ، اترضى بان يسكن ستة عشر اعزبا بقربنا .. ، ستة عشر .. ، ماذا سيفعلون بنا .. ، قل لي بربك .. ، ماذا تنتظر .. ، اذهب واطردهم .. ، اذهب في الحال .

ـ سأكلم صاحب البيت .

ـ وهل تعرف اسمه .. ، ابحث عنه .. ، كيف تنام الليلة .. ، بل كيف استطيع اغماض جفني .... ولا يفصلني عنهم الا جدار قصير .

ـ سأرفع عليه شكوى ان رفض ... الحق بجانبنا ما دمنا عائلات .

ـ ما اسهل ان يقفز الينا هؤلاء المجرمون .. ، ما افظع وجوههم ..

افغان وباكستانيون وهنـــود واشكال لا اعرف كيف انت .. ، ما هذا البلاء يا رب ... ، انا خائفة !

ـــ لا تخافي ، قلت لك انني سأتصل بـــه .

ـــ بل اذهب اليه ، انا لا اصبـــر دقيقة واحدة ، يدك ليست في النـــار حتى تحس بلسعتها !!

مدت نوال براسها خارج نـــافذة غرفتها التي كانت تطل على ملحـــق كان بالامس مهجورا .. ، واتسعت عيناها دهشة حين اصطدمتا بسراويل مضفاضة ، وارجـــل نشطـــة تركض وتمشي بنشاط غريب .. ، كل شيء في الملحق الصغير كان يعمل .. ، اسرة من الخشب كانت تصنع بايد ضخمة ، كانت الايدي جميعها متعاونة في نغمة واحدة ... ، لم تكن قد وصلت بعد الى وجوههم ، لكنها رات ايدي مرحة وارجلا نشطة ... ، كانت جميعهـــا تصفق الغبار الذي كان يغطي المكان ، فيطير في دقيقة ... ، ووصلت عيناها الى وجوههم ... ، وجوه اغـــراب يحملون الوطن على ظهورهم ، وجوه لوحتها الشمس والعذاب والفقر ... فبدا اصحابها عمالقة بالاحـــــزان والقسوة وجمود الملامح ، وفجاة ، هاج هاجس من الخوف في صدرها فكاد يمسك عليها نفسها المبهور ، واشاحت بوجهها قليلا حتى لا يروها ، وفكرت انهم سيؤذونها ، وشغلها عن خاطرها ضوء القمر الذي اخذ يداعب اضواء الملحق الصغير في غنج ودلال ... ، فبدا وكان السكان الجدد قد عقـــدوا صداقة مع الضياء والضوء في هـــذه الليلة ... ، الضباب غادر الى مكان اخر ... ، وحلت مكانه نجوم مضيئة .. ، ومصابيح منيرة .. ، والرجال لا يزالون يعملون ويركضون في نشاط وهمة .. ، ولوهلة احست بانهـــا تحترمهم . ، وتقدرهم ، لا شك انهم يملكون امالا وردية مثلها .. ، لا شك انهم يعملون حتى يصلوا الى حلم ربما كان مستحيلا .. ، لا شك انهم تعذبوا كثيرا حتى وصلوا الى هذا البيت .. ، ما اجمل حماسهم ، ما اجمل ان نرى اناسا فرحين مهما كان نوع هـــؤلاء الناس ... ، لا بد انهم كانوا اطفالا ذات يوم ... ، وكبروا فكبر معهـــم الشقاء المتجمد في العيون .. ، وقطع عليها افكارها المنطلقة صوت امهـــا يدخل غرفتها ...

ـــ ما هذا .. ، ابتعدي عن النافذة ... هل انت حمقاء ؟

ـــ انهم لا يروننني .

ـــ بل يرونـــك ، ويرون كم انت كبيرة ولا تفهمين !

ـــ لا انهم .

ـــ الا تخافين من هؤلاء الوحوش ... ، بمقدورهم في لحظة واحدة ان يحطموا مستقبلك .

ـــ مستقبلي !!

ولم تتحدث ، ولكن الرعب تحدث في عينيها ... ، فرات كلمات امهـــا صورا قاتلة .. ، افزعتها وافزعت الطفل في عينيها ، فسحبتها سريعـــا بحبال من الخوف والفزوع الى الامان.

ـــ اغلقي نافذتك جيـــدا ... ،

اطفئي كل الانوار .. ، اليوم سيغرق البيت في ظلام دامس ... لا نزيدهم ان يتبينوا شيئا حتى ترحل وجوههم العكرة عنا .

ـــ ولكن يبدو انهم طيبون .

ـــ طيبون .. ، لا زلت صغيرة يا ابنتي ... ، انت لا تعرفين هؤلاء ... ، انهم يواجهون الحياة بطريقتهم الخاصة !

ـــ ولكنهم مساكين ... ، يريدون رزقهم فحسب .

تضحك الام ضحكة تقطر سخرية وتقول :

ـــ اشفقي على نفسك ... ، كل الناس يستحقون الشفقة الا هؤلاء .

ـــ ولم ؟

ـــ هم عزاب ... ، المهم ... ، لا تطلي من النافذة واغلقيها جيدا .

اطفأت الانوار ، وبغياب النور جلجلت ضحكة خبيثة عالية ارتعش لها قلبها هلعا ... ، احست انهم يرونها برغم الظلام ... ، احست انهم يملكون نظرا يخترق الظلام ويخترق نفسها ويفضح خوفها ... ، احست انهم بخبائثهم ودهائهم يعرفون كم هي خائفة وضعيفة ... وشعرت كم هم مجرمون في هذه اللحظة ... ، تسللت ببطء حذر قرب النافذة وراتهم بعينيها اللامعتين ... ، راتهم قد افترشوا نصف حصيرة بالية ... ، يلعبون « الكوتشينة » ويهمهمون باصوات مبحوحة ... ، باصوات ملوثة غير مفهومة ... ، ويضحكون بصوت واحد ... ، بصوت خبيث ماكر ... ، بصوت تجمعت فيه كل التهديدات الخفية الصامتة .

فكرت في كل الافكار السوداء المعتمة ... ، وراتهم بعين الخيال يكسرون زجاج النافذة ويهجمون عليها ... ، يهجمون على كل نقطة بيضاء تحتفظ بها ... ، ويحيلونها ظلاما في ظلام ... ، وتدافعت كل صور المستقبل الاسود امامها ... ، فكرت في كل ما يمكن ان يحصل لها ولاسرتها ان تغلب عليهم هؤلاء الوحوش ... ، ولامت نفسها ... ، كيف نظرت اليهم وخافت ... ، ربما لاول مرة تشعر بالخوف على حياتها .. ، وتحسست راسها وعينيها ويديها حتى تتاكد انها لا زالت حية ، وتمنت من الله ان يتخلصوا منهم ... ، تمنت لو انهم رحلوا الليلة حتى تنام ، .. ونامت ... نامت عيونها على احلام قلقة مصبوغة بالظلام الاسود .. ، ملتصقة بالاسود في كل شيء .. ، في كل تفاصيلها الصغيرة ... ، في كل سكناتها ... ، وفي كل خلجة اعتمل بها قلبها الابيض الصغير .

في الصباح .. ، استيقظت الشمس وتثاءبت فنشرت خيوطها البيضاء .. وتسللت عبر النافذة المغلقة ودغدغت النوم في عيني نوال فطار بعيدا .. كانت عقارب الساعة تشير الى السادسة صباحا عندما استيقظت ، ومضت لحظة وهي راقدة بلا حراك في مخدعها ، وكانت عيناها قد ثبتتا على اطار النافذة كانما كانت كل حواسها تبحث وتسال في حذر ... ،

اتجهت ناحية النافذة وقبل ان تلقي براسها خارجها ، توقفت برهة وتذكرت ما ينبغي عليها ... ، وقفت الى جانب النافذة ، واخذت تطل بعين الحذر والاستطلاع .. ، وراتهم .. ، رات ايديهم تتحرك من جديد .. على نفس النغمة ... تغني معا في صوت واحد ... ، لمحت والدها خارج البيت يحادث الحارس ، وفكرت ان المشكلة ستحل فاستنشقت نفسا طويلا من الراحة والاطمئنان .

وتعجلت موعد الرحيل .. وانتقلت عيناها مرة اخرى الى داخل الملحق الصغير ... ، وراتهم بسراويلهم الفضفاضة وبنيتهم الضخمة ولحاهم الكثة ، يترقبون اباها حتى يذهب ولا يراهم ... وسألت نفسها لماذا لم يخرجوا امام ابيها .. ، وفكرت في الحال انهم جبناء .

نزلت الدرجات بسرعتها المعتادة ... ومدت يدها بحركة محفوظة الى كوب الحليب ترتشف منه ببطء .. ، كان اليوم خميسا وهي في اجازة من الجامعة .. ، وفكرت بالذي ستدرسه لهذا اليوم كما فكرت في همومها الكبيرة ... ، وبينما هي تفكر ، تناهى الى سمعها صوت امها تخاطب اخيها :

— ماذا نفعل ان لم يقتنع صاحب البيت ؟

— سيقتنع رغم انفه ... اما نحن واما هم .. وسنرى ماذا يفعل بعد ان حادثناه .

— اليس من الافضل ان نقدم شكوى ؟

— سيرضى .. ، وسترين ... لقد هددته ... ، هل تعرفين ماذا قال لي ... ، قال لي انهم طيبون ... واذا رايتم شيئا منهم ، بلغوني .

— ننتظر حتى يحدث البلاء ... ، هذه اسخف نكتة سمعتها .

— ما يهمنا انهم سيغادرون .

— « روحة بلا رجعة » .

احست نوال بفرحة كبيرة ... وشعرت انها ستنام والنافذة مفتوحة يدخلها الهواء النقي .. ، وتاكدت ان الظلام سيرحل عن البيت .

صعدت الى غرفتها ... ، واطلت من النافذة ... ، وتطلعت اليهم ، لكنها لم تر ايديهم الفرحة ... ، ولم تسمع النغمة الواحدة في هذه المرة ... ، لم تر سراويلهم الفضفاضة وحركاتهم السريعة ... ، لكنها رات وجوها متعبة ورجالا حطمتهم الحياة .

كانت الايدي تحمل حاجيات تافهة ، والارجل تنعطف في انكسار ... ، ساروا نحو زاوية ضيقة ، ووقفوا فيها ... ، ومدت راسها اكثر حتى ترى ماذا يفعلون ... ، ظلوا دقائق مفكي الراس ، حتى بدا لها وكانهم سيغفون ... ، رفعوا اليها وجوها يعتصر قسماتها الالم ويغرق الحقد في تشويه معالمها ... ، وفي الطريق بدأوا يسيرون .

داخلها شعور بان شيئا قد مات في نفسها ؛ واحست ان قلبها غدا خاويا من كل نقطة بيضاء . جاء افراد الاسرة واقتربوا من النافذة ونظروا خارجها ... ونظرت هي اليهم بينما

انطلقت منها كلمات اسفة .

ـــ « مساكين ... كم كانوا فرحين امس » .

نظر اليها شقيقها في ضيق وخاطبها في غضب :

ـــ اذن كنت تتفرجين عليهم ... الم اقل لك عدة مرات لا تقفي قرب النافذة ... ابتعدي الان .

كان الجميع يتحدثون ... الا هي .. فقد كان قلبها يحدثها بالخيبـــة والكآبة والوجوم ... وخرجوا بينما بقيت هي مسمرة قرب النافذة ... تتطلع الى اسرة خشبية ، صنعتهـا ايدي كانت فرحة تعمل في نغمة واحدة ... ؛ وقطع عليها تأملاتها الشاردة اغرودة عصفورين يبنيان عشا جديدا قرب نافذتها ... ؛ فبرعمت علـى شفتيها ابتسامة معلقة وتنهدت محدثة نفسها بصوت غير مسموع .. عيه ؛ الحياة جميلة بكل اشكالها ... ؛ لكن ابتسامتها الصغيرة ذوت شيئا فشيئا كأنها نور نحيل انتفض من عود ثقاب تافه ، فأضاء قليلا ثم خبا ... ؛ كانت تود الا تفشل في اكمال ابتسامتها ... ولكـن ... !!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة

مذكرات خادم

بقلم طيبة أحمد الابراهيم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وانا اقوم بمساعدة صديقي في زحزحة « دولاب » الخادم في غرفة الاخير الخاصة ، اذ وقع نظري على مجموعة من الاوراق المتربة في اعلاه.

قلت لصديقي ، ما هذه الاوراق ، فقال بعدم مبالاة ، انها تخص نفس الخادم الذي سيصل غدا مع زوجته .. ثم اعاد النظر اليهـــا باهتمام ، وقلبها بين يديه .. كانت الاوراق مكتوبة بخط اليد وباللغة الانجليزية .. وبما ان صديقي هذا لا يعرف من هذه اللغة سوى بعض المفردات التي لا تغني شيئا . وبما اني مدرس لهذه اللغة ، فقد دفع بها الي قائلا ، هل لك بقراءة هذه الاوراق وترجمتها لي ؟ . كان بي بعض الفضول لمعرفة ما كتب ، فتناولتها منه وانا ادمدم بالموافقة .

وفي ذلك اليوم بسحلت الاوراق .. انها على شكل مذكرات ، ولكنها غير متسلسلة التواريخ ، لعل بعضها فقد او لم يكتب اصلا .. ولكن على اي حال يمكن ان يفهم منها مجمل الاحداث .. قرات :

٣ / ٦ / ١٩٧٧

وصلني منذ يومين اذن صادر من حكومة ذلك البلد الغني يسمح لي بدخول ارض الذهب الاســـود . لقـــد حلمت بذلك كثيرا ، ورغم الفراق الوشيك لزوجتي واطفالي الا اني اعتبر هذا اليوم السعيد اشبه بيـــوم العيد لنا كلنا ، ورغم ان زوجتي كانت تذرف الدمع ساخنا في الليلة الماضية حزنا لفراقي ، الا اني في صبيحة هذا اليوم سمعتها تكلم جارتنا من نافذة المطبخ بافتخار من عمل شيء فريد نادر يعجز عنه غيره ، قالت :

ـــ بعد يومين او ثلاثة سيسافر زوجي الى دولة الكويت . . لقـــد جاءته الموافقة على دخول ذلك البلد الغني اخيرا .

وبعد ضحكة ذات قرقرة سعيدة اردفت .

ـــ اننا محزونون جدا لفراقه ، ولكن ماذا نحن عاملون ؟ فالظروف تتطلب بعض التضحية .

وبما ان كلام زوجتي لا ينطبق على واقع حالنا فقـــد ردت جارتنـــا بفطنـــة وخبث .

ليتنـــا كلنا نحزن لهذا السبب فقط .

ضحكت الاثنتان معا ، قبل ان اسمع صوت النافذة وهي توصد .

فكرت وانا في طريقي الى المطبخ . . ترى هل نحن نمر بحدث سعيد حقا . . هل فراق الزوجة والاولاد من اجل بعض المال يستحق كل هذه الفرحة ، ام ان الذي احدث هذه الفرحة صعوبة الحصول على ذلـــك الاذن لدخول ارض الذهب . . حقا ان كل شيء نسبي في هذا العالم . . فما يستوجب حزنا في موقف ما قد يستوجب فرحة في موقف اخر .

٦ / ٦ / ١٩٧٧

ها انا على سطح المركب ، يحـــدوني امل كبير في الكسب ويقلقني مصير اطفالي فيما لو حدث لي ما يعوقني عن امدادهم بما يحتاجونه . . لقد تركتهم في رعاية والدتهم التي لا تتكسب شيئا ، ليس ذلك فقط ، بـــل تركت لها عبئا اخر ، تركت لها امي وابي العجوزين ، فمن يا ترى يعتني بامرهم لو قدر وحدث لي شيء ما . حقا انني استدنت مبلغـــا من المال يوازي معدل ما نصرفه لمدة ثلاثة شهور ، واوصيتها بالحرص عليه حتى اتمكن من ارسال النقود لها . ولكن لو حدث ولم تصلها نقود مني ، اوتاخرت في الوصول اليها ماذا ستفعل بذلك الجيش الصغير المكون من ستة افواه مع العجوزين . اخي زبير السكير العربيد ، لن يمد لها يد المساعدة ، لانه

عاجز عن مساعدة نفسه ، بل اخشى ما اخشاه ان يستولي على ما عندها في غفلة منها .. اه ، لكم اشعر بالقلق يتزايد في اعماقي .

نسيت في غمرة قلقي ما يحتمل ان يواجهني في غربتي من مشاكل .. ترى ماذا سيكون شكل « مخدومي » ، وعلى اي طباع سأواجهه ، مهما يكن فما علي الا الصبر . العقد مـــدته سنتان ونصف السنة ، سأروض نفسي على تجرع المر والحنظل حتى تنتهي المدة على خير .

المركب يغص بالمسافرين من الجنسين ، ومن مختلف الاعمار ، ومن مختلف المدن والقرى عندنا ، البعض منهم عائدا الى الكويت بعد زيارة قصيرة الى اهله .. لو كنت مكان اي منهم لم اغادر وطني مرة اخرى ، يكفيني جدا عاما من الغربة ، مهما كان الكسب مغريا ، والبعض الاخر يسافر لاول مرة مثلي تماما ، لقد سألت يوم امس احد العائدين ، عن طبيعة العمل هناك . فلم يجبني عن تساؤلي مباشرة وانما قال .

ـــ كل شيء هناك يقطر ذهبا .

يا له من تعبير براق ، هـــل اتى بـــه من واقع الحال ام مبالغا به ، عـــاد يقول :

انه لن يعود الى مخدوميه ، رغم انه لا يزال تحت كفالتهم خجلت ان اسأله عن معنى كفالتهم ، وانما سألته فقط لماذا لا يريد العودة لهم فهل هم قساة يسيئون معاملته ، قال لا ، انهم اناس طيبون جدا .. معظم اهل البلد هناك طيبون جدا ، حتى انه لكثرة طيبتهم تخالهم من السذج . ولكني لا ارغب في العودة اليهم ، لانني اريد ان اعمل وانا حر ، اتحكم في اجري ، وطالما ان جواز سفري معي فلست اخشى شيئا .

لم افهم معنى كلامه فهما واضحا ، ولكنني فكرت لماذا لا اعمل مثله فارفع اجري كما اريد . ورغم ان ضميري وخزني لتسرعي بنقض العقد الا انني بررت الامر لنفسي بانني اريد ان اكسب سريعا واعود الى اطفالـــي سريعا ، لذا سألته :

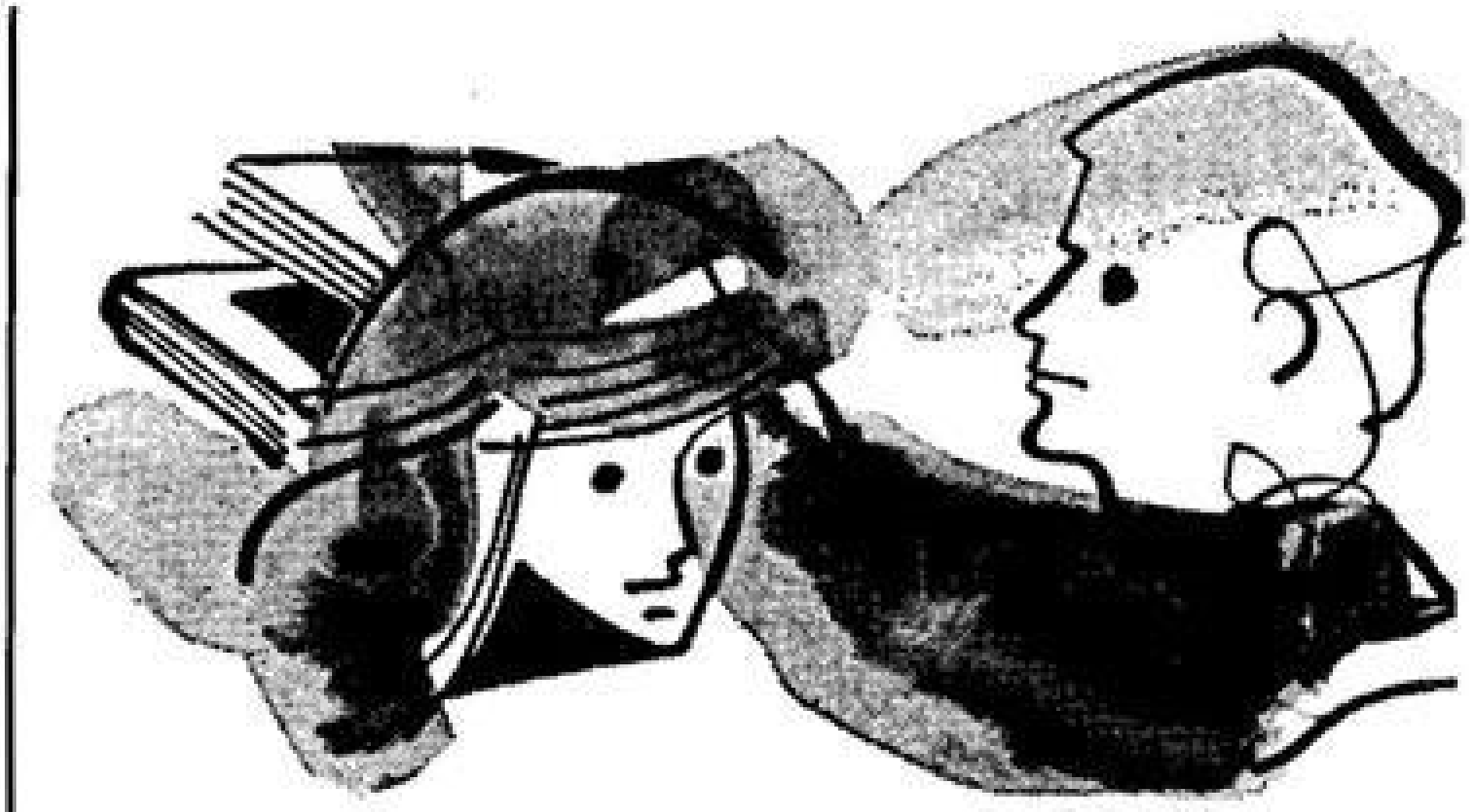
ـــ ان جواز سفري معي ، فهل يمكنني ان افعل فعلك ؟

فضحك مني قائلا :

ـــ انك لم تحصل على الكفالة بعد .. وكيف يتسنى لك الحصـــول عليها بشكل حر ، وانت لا تعرف احدا من اهل البلد .

ـــ بشكل حر ؟

ـــ نعم بشكل حر .. تدفع مبلغا من المال ، مقداره مئة دينار ، او اكثر حسب جشع صاحب الكفالة ، وبعد ان تحصل على الكفالة ، تعمل بالاجر الذي تريد .. ولكن يحتاج الى مبلغ من المال اولا .



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعرت بالحسرة لانني لا املك المال الذي يجعلني حرا ، ثم سخرت من نفسي ، لو كنت املك هذا المال فلماذا انا هنا ؟ ، وفي نفس الوقت ارتاح ضميري لانني لن انكث عقدا برمته ، فخطر على بالي توبة ابن اوى ، عندما لم يجد دجاجة يسرقها مقرر التوبة عن السرقة ، وضحكت فسالني لماذا اضحك .. ولكنني عدت لسؤاله .

ـــ وانت هل تملك هذا المبلغ من المال لشراء الكمالة ؟

فضحك كما لو كان يلفت نظري لبراءته .

ـــ لا استطيع في الحقيقة دفع ثمن الكفالة .. ولكنني عملت لدى « مخدمي » عاما كاملا ، ثم ادعيت ان زوجتي مريضة جدا ، وانه يتطلب مني ان ازورها ولو زيارة خاطفة، وها انت ترى ، فقد زرت اهلي ،وعدت ومعي كفالة مدتها احد عشر شهرا ، اعمل خلالها ما اريد وباي اجر احصل عليه ، وانما المهم ان يكون اغلى من الاجر لدى « مخدمي » السابق .

خجلت ان اساله كم اجرك الحالي .. حتما سيكون مثل اجري ، على اقل تقدير خمسة وعشرون دينارا في الشهر ، انه مبلغ ضخم نسبة الى المرتبات لدينا .. ولكن ماذا يمنع ان يحصل على اجر اعلى منه ان كان في امكانه ذلك .. ياله من رجل بارع .

ولعله شعر باعجابي ، فقد اردف قائلا بتفاخر .

ـــ حتى تكاليف رحلتي هذه لم ادفع منها فلسا واحدا ، لقد دفعها لي « مخدمي » .

بهرني ذلك فقلت ، كيف ؟

من تقاليد الخدمة في هذا البلد ان تدفع العائلة الى مخدومها اجرة مجيئه وذهابه . ومع ان سيدي دفع لي اجرة مجيئي وسيدفع لي اجره ذهابي فيما لو اتممت المدة المتفق عليها لخدمتي لديهم ، الا انه انسان طيب فقبل ان يدفع مصاريف رحلتي هذه على امل ان اعود اليه وانا اشد ما اكون امتنانا له .. على كل ، النقود لكثرتها لا قيمة لها لديهم . لشد ما ادهشني باقواله ، لقد جعلت الامل يتراقص في قلبي ، ولكن بيني وبين نفسي شعرت بدناءة ما فعل الا انني لم افصح عن رايي خشية ومجاملة ولان بعض الناس يعتبرون هذا النوع من الاعمال الدنيئة مجرد مهارة في سبيل الكسب السريع .. ضاق صدري به ، ولكني مع ذلك بقيت الى الى جانبه . لقد اخذ يلفت نظري الى اشياء تحدث على السفينة نفسها .. لكم عجبت ، مما رايت ، ومما سمعت .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ضحك صاحبي وهو ينظر الى فتاة في ربيع العمر ، على جانب من الجمال ، تخطر بثوب لامع مما يلبس في الاعياد عندنا ، ضيق وملفوف يكاد ينطق بمفاتن جسدها .. ازعجتني ضحكته التي لم ار لها مبررا واضحا ، ولكنه بعد قليل اوضح فقال :

ـــ اعرف مسبقا مصير هذه الفتاة .

فقلت بضيق ، وما مصيرها ؟

فاخذ يقص علي مشاكل الخدم هناك ، وما يجري في الشارع ، ومن وراء الكواليس ، حكايات اقشعر لها بدني ، واقسمت منذ تلك اللحظة ان لا احضر زوجتي او ايا من اقاربي للخدمة ابدا . رغم ان احدا لم يطلب مني ذلك .

ولعل صاحبي لم يتعد الحقيقة فيما قاله لي الا انني ازددت ضيقا به ، فتخلصت منه لاحدث مسافرا اخر ، تغرب لاول مرة مثلي ، وليس لديه اية فكرة عن اي شيء مما تحدث به ذلك الثعلبي الطباع .

وصلت السفينة الى المرفأ في الثانية عشر ظهرا تقريبا ، وقبل ان نصل بمسافة قليلة شعرت بلفحة الهواء الحار انه نسيم البر يا له من جو مشبع بالرطوبة والحرارة ، انه لفح الهجير .

وعلى المرفأ وجدت قريبي ينتظرني ، انه الوساطة الوحيدة التي عن طريقها جئت الكويت .. ولكن يالها من وساطة غالية الثمن .. سأسدد من مرتبي ولمدة ستة اشهر مقدار عشرة دنانير لكل شهر . لا بأس كل شيء بثمن .

ان قريبي هذا له عشرة اعوام في هذا البلد .. لعله يدبر امر المبالغ التي يدفعها لكفالته من هذه الطريقة . تعال .. تعال ، وقادني الى منزله

في الطريق الى المنزل تلفت فوجدت ان الارض منبسطة جدا .. جرداء جدا ، الا من بعض شجيرات .. الشمس ساطعة بشكل قوي غريب ، ترسل اشعة من لواظ .. ليس هناك انسان سائر على قدميه سوانا .. سيارات تمر بنا بسرعة .. وقفنا قرب محطة « للباص » .. رايت بعض الاشخاص واقفين تحت المظلة ، لم ارهم من بعيد لشدة وهج الشمس .. اخذ العرق يتصبب مني .. حقا ان بلادي حارة ، ولكن ليس الى هذا الحد ، على الاقل يخالط هواءها بعض الابخرة ، اما هنا فكل شيء جاف يكاد يتكسر .. نظرت الى قريبي ، لم ار اي ضيق باد عليه خجلت من التصريح بضيقي ، فقلت في نفسي .

كيف يتسنى لي العيش في مثل هذا الجو كل هذه المدة .. هذه اول المضايقات ولعلها اخفها ؟

كان قريبي شعر بما يجول بخاطري ، او لعله اراد ان يتكلم لمجرد الكلام فقط فقد قال :

ـ الحر شديد .. اليس كذلك ؟

فقلت بسرعة :

ـ لا يطاق ، وهج هذه الشمس فوق الاحتمال

فضحك مكشرا عن اسنان بيضاء وسط بشرته الداكنة .. واشار الى جيبه قاصدا محفظته .

ـ ستجد عاملا مخففا .. تنسى عنده اي شيء .

عجبت ولم ارد .. الكل يتكلم بمثل هذا النموذج من الكلام .

٢٣ / ٦ / ١٩٧٧

هذا اليوم السادس لبقائي في منزل قريبي .. لست ادري لماذا لا يصحبني الى منزل « مخدمي» .. ان كل يوم يمر يقلص من اجري الشهري

فلما ذكرته بذلك قال انتظر قليلا ، علنا نجد لك كفيل اخر ، وبناء على ما سمعته من رفيق السفينة فقد قلت له

— ولكن ليس لدي نقود لدفع الثمن .

اجاب ، ساتدبر الامر .

فهمت .. انه سيدفع من جيبه الخاص وبعدها يستحصل مني المبلغ مضاعفا .. احسست بالضيق .. لا اعرف منزل « مخدمي » حتى العنوان معه .. انه مخطط لكل شيء .

في هذا اليوم فقط عرفت طبيعة عمل قريبي

ان له عدة اعمال لا عمل واحد .. ان النقود تجري بين انامله كالسد المنهار .. محفظته دائما عامرة باوراق خضراء من فئة العشرة دنانير .. يسيل لهـــا لعابي كلما فتحهـــا .. انه يفتحها امامي متعمدا كانه يعرض علي شيئا .

اخيرا عرفت طبيعة عمله .. انه يورد الخدم لفئات مختلفة من الناس بعضهم من ذوي النفوذ . والبعض من لا نفوذ له فهو عندما يورد للفئـــة الاولى يكون ملتزما جدا لا يتلاعب بذيله ، ولا حتى بطرف اصبعه ، ولكن الويل للفئة الاخرى .. فانه يتسلم الاذن بدخول البلاد من صاحب الحاجة على امل ان يأتي لهم بخادم او خادمة ، ولكنه يوظف الوافد لحسابه .. ثم يعتذر لهذا البعض باعذار شتى ، بان ذلك الشخص رفض المجيء او انه مرض فجاة وعاقه المرض عن المجيء .. او غير ذلك من المعاذير ويطلب اذن اخر لاحضار غيره ، وهكذا فقد تصل له ثلاثة اذونات من الفرد ، قبل ان يحصل على الخادم .. ولو كان الامر عند هذا الحد لهان الامر لدي .

انه يستغل زوجته وابنته وكل ما تقع عليه عيناه من فتيات جلدته من الحسان ممن يرضين بالعمل معه .. آه لكم امقت هذا القريب .. اذن زميلي على السفينة لم يتعد الحقيقة ..

٢٤ / ٦ / ١٩٧٧

جابهت قريبي بقوة اليوم ، وطلبت منه اما ان يبعث بي الى «مخدمي» او يرحلني الى بلدي ، وقلت له انه لا يستطيع ان يستغلني اكثر من الاتفاق الذي بيننا سابقـــا .

حاول ان يغريني بشتى المغريات .. اشترطت عليه ان يدفع شهور البطالة التي قد اتعرض لها وهو في سبيل البحث عمن يكفلني .. وان لم يفعل هددت بان ابلغ عنه السلطة.. رضخ الى تهديدي اخيرا .. ولم يجد بالسرعة المطلوبة من يبيع كفالته له .

في مساء هذا اليوم وصلت الى منزل « مخدمي » وقلبي يخفق بشدة ..كنت اخشى المجهول الذي سوف اعيشه فرضا وليس اختيارا .

فتحت لنا الباب فتاة لم استطع تحديد عمرها لاول وهلة ، لعلها في العشرين من العمر ، متوسطة الجمال ، تشوبها سمرة كسمرة بنات بلدي شعرها مسترسل الى منتصف ظهرها ، تمسكه عن وجهها بطوق من البلاستيك من اعلى الجبهة .

استقبلتني فرحة بي كاني رحمة نزلت من السماء .

هذه الابتسامة الرقيقة ازالت نصف وحشتي .. تذكرت قول زميلي على السفينة عن طيبة اهل البلد .. وفي الطريق الى الغرفة المعدة لي سألتني ، اتعرف الانجليزية ؟

فقلت لها قليلا .

فضحكت مجددا ، وقالت وانا قليلا ايضا .

اشارت الى غرفة خارج المبنى ، وقالت هذه غرفتك، استرح بهاالان وتركتني عند بابها وانصرفت .

شعرت براحة كبيرة للمعاملة الرقيقة من الفتاة .. ترى هل كل اهل المنزل بمثل هذه الرقة .

دخلت الغرفة .. يالها من غرفة ضيقة ، مساحتها لا تتجاوز الثلاثة امتار في مترين ، ليس لها نافذة ، ولكنها تحتوي على كل ما احتاجه ، سرير دولاب صغير ــ جهاز تلفزيون ــ جهاز اخر معلق في الحائط ، لست اعرف مـــا هـــو .

حاولت ان ارتب متاعي القليـــل .

سمعت طرقا على الباب .. انها نفس الفتاة ، قالت مشيرة الى الجهاز الموجود في الحائط .

ــ نسيت ان اقول لك ان تفتحه .

وعندما رأت حيرتي دخلت وفتحته ، فصدر منه دوى كبير ، يصاحبه هواء منعش كنسيم الصباح في بلدي .. عرفت انه جهاز للتكييف وعادت مرة اخرى لتقدم لي عشائي ، وتشير الى باب امام غرفتي قائلة لي انـــه الحمـــام .

شعرت بارتياح عميق .. لا شك باني سانام نوما هادئا .

٢٥ / ٦ / ١٩٧٧

نهضت مبكرا .. .. وبعد ان اغتسلت جلست متحفزا ، انتظر من يدلني على عملي .. ولم البث ان رايت امامي نفس فتاة الامس .. هل هي « مخدمتي » ؟ الا يوجد احد غيرها في المنزل .

قادتني الى المطبخ القريب من غرفتي ، وشرحت لي بانكليزية ركيكة جدا مع بعض الاشارات طريقة عمل الفطور .. ومن عدد الاقداح وطريقة صفهم عرفت ان في المنزل ثلاثة اشخاص .. لعلها وزوجها وابنها ، امها وابيها .. ماذا يهمني ، يكفيني انها التي ستدلني على عملي بمثل هذه الابتسامة الحنون .

بعد ان انهيت فطوري استمعت لارشاداتها عن كيفية اعداد الغداء اما عن كيفية تنظيف المنزل فقد قالت انها سوف تدربني عليه عند عودتها ظهرا (يبدو انها تعمل) ، قالت لي ايضا يجب ان اقوم بتنظيف السيارة كل يوم قبل اعداد الفطور ، ثم خرجت على عجل .. ذهبت الى غرفة الطعام .. قدح واحد فقط مستعمل .. اذن لما الاثنان الباقيان ؟ تلفت في انحاء المنزل ، التي نظرة استطلاعية ، مددت راسي الى احدى الغرف ، رايت ثلاثة اسرة ، احدهماخال بعد استعمال ، وفيالثاني طفل في السادسة من العمر ، وفي الثالث شاب لم استطع تقدير عمره ، قد يكون في السادسة عشرة او السابعة عشرة .. اذن فهما اخواها .. لماذا لم يذهبا الى المدرسة .. تذكرت اننا في الشهر السادس .. اذن فهما في اجازة .

عدت الى المطبخ في هدوء ، وعصرت ذاكرتي كي اعمل الطبخة كما وصفتها لي .

لم يكن الغداء جيدا ، استدللت ذلك من كمية الطعام الذي تناولوه.. انها لم تشر الى ذلك ، وانما قالت فقط انها سوف تعلمني كيف اطبخ جيدا .. خجلت .. وقررت ان اعمل جهدي كي ارضيها .. يالها من فتاة رقيقة

٢٦ / ٦ / ١٩٧٧

لم تذهب الى العمل اليوم ، بقيت في ثياب المنزل ، اخذت تعلمني كيف ارتب المنزل وانظفه .. ان كل شيء مريح عندما توجهني هي .. لقد ضايقني قليلا تنظيف الحمامات .. لماذا هذا يكون جزء من عملي .. لايهم ، ساعتاد على ذلك كما قال لي زميلي على السفينة .

فوجئت اشد مفاجاة ظهر اليوم عندما ناداها الشاب بلفظ « ماما »

يسألها عن شيء ما . . كدت احتج على ذلكلولا اني امسكت نفسي في اخر لحظة . . امه . . نظرت اليها مرة اخرى على هذا الضوء الجديد مقدرا عمرها ، انها نضرة ، ريانة ، ولكنها مع ذلك قد تكون فيالخامسة والثلاثين من العمر . . اذن اين زوجها . . لعله متوفي . . لماذا هذه الافكار السوداء الشريرة . . لعله مسافر لا يلبث ان يعود . . احسست بخيبة امل ، لا ادري لماذا ، وضاق صدري طيلة النهار .

تذكرت حينئذ فقط زوجتي منذ جئت فانبتني ضميري .

٢٧ / ٦ / ١٩٧٧

دخلت عليّ المطبخ صباح هذا اليوم ، وانا اعد الفطور ، بادرتهـا بالتحية ، فردت مبتسمة ، ثم اخذت توجهني الى عمل اليوم ، ولم تلبث ان غادرت كطيف شفاف .

قمت بكل الاعمال على احسن ما يمكنني من جهد . . فكونت ظهرا على جهدي بعلامات من الرضا بدت على وجوههم الثلاثة اثناء تناولطعام الغداء . سررت لقد كان ذلك اعظم ثواب لي .

لست ادري ما اعتراني ، لا بد واني انسان غير طبيعي . . انني اشعر بغرابة امري . . لم تعد زوجتي تطرأ على بالي الا نادرا ، لقـد خفت حدة تفكيري بها عما كنت عليه وانا على ظهر السفينة ، او وانا في بيت قريبي . . لكم اشكر الله على حظي السعيد بان وضعني في هذا المنزل الصغير الهادىء ، الذي يكاد كل منفيه ينطق بالطيبة . . الصبيان فيمنتهى الادب . . ليس هناك مشاكل من اي نوع . . الحديث بين افراد العائلة يشبه الهمس ، حتى اني لاعجب احيانا كثيرة كيف يسمع بعضهم بعضا . . الابتسامة دائما ترفرف على شفاههم . . لكأن الدنيا قد خلت من الهموم ، او لكأن المحيط الذي يضم العائلة يمتص المشاكل فلا تبدو حيث يوجدون . . لكم اتمنى لو انني جزء من هذه العائلة . . لو اني ربها . . اوه . . يا للعذاب . . كيف طرأ على بالي ان استبدل اولادي ، باولاد اخرين ، حتى وان كانوا اولئك ملائكة واولادي شياطين . . لابد اني اب جاحد للنعمة . . كلا ، يجب ان لا يشتط بي الخيال . . انني لست الا خادم اجير ، ويجب الا اتعدى حدودي ابـــدا .

٢٨ / ٧ / ١٩٧٨

منذ جئت وبيننا انا وهي مسابقة صامتة ، من الذي يسبق صاحبه

بالقاء تحية الصباح ، فاذا ما سبقتني بالقائها اشفعتها بابتسامة منتصرة .. انها طيبة جدا ، رقيقة جدا ، متسامحة ابدا .. لقد اخطأت يوم امس ، ولكنها لم تعنفني ، بل لفتت انتباهي الى موطن الخطأ ، طالبة مني عدم تكراره في المستقبل .

لقد سبقتني هذا الصباح بالقاء السلام ، وعلى شفتيهـــا ابتسامة النصر ، اننا في كل صباح نتبادل تحية اسلامية .. اكاد اطير من الفرحة .

٢٩ / ٧ /١٩٧٨

لست ادري ماذا دهاني ، في كل مرة اتناول منها النقود لشراء حاجة ما ، احاول ان تمس اصابعي اي طرف من يدها ، ولكنها تسحب يدهـــا بسرعة .. بل اخذت تحتاط للامر .. تضع النقود على الطاولة ، وتشير اليها طالبة ما تحتاجه ، وعندما اعود بالباقي تطلب مني ان اضع هذاالباقي على اي مكان مرتفع ، مثل الطاولة او سطح التلفزيون .. ترى هل تشعر بتعمدي هذه الحركة ، يا لي من انسان نذل لا يقدر النعمة التي هو بها .. !خشي ما اخشاه ان تغضبها هذه الحركة مني .. ولكن ما اصنع ؟ لقد اصبحت عادة عندي لا استطيع التحكم بها ، حتى بعد اقتناعي بان حركتي هذه تغضبها جدا .. منذ مدة وانا اضع من نفسي مراقبا لجميع تصرفاتها لحد الان لم ار عليها ما يشيب ، لقد املت نفسي بانني احق بها من سواي ولقـــد خاب املي .

ما هذه الافكار التي تطحن راسي ، لا شك باني سادمر نفسي ، بل سأدمر نعمتي بيدي .. ولكن يا ترى كيف، لشابة على مثـــل هذا الحسن والعنفوان ان تعيش هكذا دون زواج .. ها هي الافكار بدات تطحنني من جديد .. هل انا احبها .. كلا ، لا اريد ذلك .. لعله البعد عن زوجتي .. ولكنها قطعا اجمل من زوجتي .. هناك الكثيرات ممن هن اجمل منزوجتي هل علي ان احبهن .. لا بد وانني اصبحت لا احب زوجتي .. كلا انـــه الحرمان .. ها انا انظر الى وجهي في المرآة ، انني وسيم وفي مثل سنها لو فرضنا انها في الخامسة والثلاثون .. بل اكثر من وسيم ، ليس هذا غرورا مني ، كل من يعرفني وجميع اقاربي يقولون ذلك .. وهذه المرآة تشهد لي .. ولكني لست سوىخادم .. خادم حقير .. فهل يطمع الخادم بان تحبه سيدته .. ما يدريها انني كنت موظفا مثلها في بلدي .. ولكن اغراء المال جعل مني خادما .. ولكن ما يدريها لعلها تصورت انني ولدت من بطن امي وانا خادم .. الا لعنة الله على الحاجة .. فصاحب الحاجة وضيع ، كما يقولون هناك في بلدي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١ / ٨ / ١٩٧٩

حاولت في هذا اليوم مثلما حاولت قبل ذلك مرات عديدة ان اتبسط معها في الحديث ، ولكنها بمجرد ان ترى او تحس مني انحرافا يوعز الى جهة معينة من الحديث ، تتقلب وتوجز في الرد ، وتغادر المكان .. انني احتار في تحليل شخصيتها .. سهلة ممتنعة .. تظن انك قاب قوسين او ادنى من مرامك ، عندما ترى لين جانبها وابتسامتها التي ترف دائما على شفتيها .. ثم لا تلبث ان ترى نفسك في غمضة عين انك امام حجر اصم ، صلد الجوانب .. عجيب لا شيء يثير عواطفها ، حتى يخيل لي احيانا انني امام انسانة مجردة من العواطف .

.. هل هي انسانة نبيلة حقا ، ام انها ولكوني خادمها جعلت تترفع عني ، اخذت احدثها عن وظيفتي في بلدي ، وعن الكلية التي درست فيها كل هذا وانا اخرط البصل ، وهي تنتظرني كي تريني كيف اعمل طبخة جديدة لم تمر علي قبلا .. كانت ترد علي بايجاز ، ولكن بتهذيب .. ثم لم تلبث ان غادرت المطبخ ، طالبة مني ان استدعيها عندما اتم عملية التحضير .. شعرت بحنق وبميل الى عمل اي شيء يؤذيها ، ليت الطبخة تفشل .

٢ / ٨ / ١٩٧٩

وجدت وانا ارتب الفراش قلادتها الذهبية تحت الوسادة ، لابد وانها ضايقتها في الليلة الماضية ، فتخلصت منها .. وضعتها في جيبي ، ثم فتحت الدرج الملصق بالسرير ، فرايت مجموعة من القطع الذهبية الصغيرة ، عبارة عن قرط وخاتمين ، وضعت المجموعة في جيبي .. لم اشعر بتانيب الضمير ، بل احسست براحة غريبة .

٦ / ٨ / ١٩٧٩

لم تسألني طيلة الايام الماضية عما فقدته .. شيء عجيب .. لم ار امراة مهملة مثلها .. انها مفرطة الثقة بمن حولها .. لعلها تضفي من طيبتها على كل من حولها .. كنت امل ان ارى هذه الابتسامة تنضب عن شفتيها .. لعلها تغضب .. انني لم ارها في حالة غضب ابدا .. لها طريقة لا افهمها في التوجيه الهادىء لكل من يحيد عن جادة الصواب .. حتى الصبيان لم ارها في اي يوم تعنف ايا منهما .. كيف تسير امورها معهما ، لست ادري ، ولكن الذي ادريه انهما في منتهى الادب والتهذيب .

ان زوجتي دائمـــة الصراخ مع الاولاد .. دائمـــة الشكوى منهم والتبرم بهم .

١٩٧٩ / ٨ / ٧

في غمرة انشغالي بها بسيت العالم الخارجي ، ولكن هذا اليوم وهو يوم اجازتي ، خرجت مع احد زملائي .. اريته ما معي من قطع ذهبية ، فحذرني قائلا انها سرقة مكشوفة .. وعندما طمأنته اقترح علي ان ابيعهم لان الذهب مرتفع الاسعار في هذه الايام ، بعت القلادة ، كسبت منها مبلغا لا بأس به .. فرحت .. ولكن عند عودتي الى المنزل في المساء ، خفت مواجهتها كأنها سوف تسألني .. ولكن الحمد لله لم يحدث شيء .

١٩٧٩ / ٨ / ١٠

كم اشعر بالضعة .. انني حقير .. دنيء .. لقـــد سألتني اليوم بمنتهى اللطف عن المصاغ الضائع .. طالبة مني ان ابحث عنه يـــوم غد اثناء تنظيف الغرفة .. لا شك انها تعرف انني استوليت عليه ، ولكنهـــا لا تريد احراجي .. لعلها ارادت ان تعطيني فرصة اعادتهم دون الشعور بالخجل .. ليتني لم ابع القلادة .. كنا انا خجل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٩٧٩ / ٨ / ١١

اعطيتها القرط ، ادعيت انني وجدته تحت السرير على الارض . فطلبت مني ان اجد في البحث عن الباقي .. لم تبتسم ولكنها لم تغضب .. كأنها تكلفني بعمل عادي جدا .

١٩٧٩ / ٨ / ١٥

كل يوم وباعصاب باردة وبالحاح هادىء ، حالما تدخل المنزل تسألني ان كنت وجدت بقية القطع الذهبية ، اخرجتلها قبل يومين الخاتمين وقلت انني لم اجد القلادة .. اصرت بنفس اللهجة الهادئة على ان ابحث عنها ايضا .. وها هي اليوم تعيد علي السؤال بنفس الاصرار .. ماذا علي ان افعل .. سأذهب يـــوم الجمعـــة القادمة الى الصائغ لاعيد له النقود ، واستعيد منه الحلية .. فهمت الان كيف تسير امورها . : رقيقة في حزم ،

وحازمة في رقة ، يالها من فتاة . اوه ، يا لها من امراة ، لست اعرف لها وصفا .. ولكن المهم في نظري الان كيف استطيع ان اعيد لها قلادتها .

٢٢ / ٨ / ١٩٧٩

كيف اعود الى المنزل ، انها سوف تسالني حتما غدا ان كنت وجدت القلادة .. كنت ابعث بها الامل باني سوف اجد في البحث عنها ، واني سأجدها حتما : ولكن كيف سأواجهها غدا بعدما رفض الصائغ اعادتها لي لقد ادعى بانه باعها . حاولت ان اشتري واحدة مثلها ، ولكنه طلب ضعفي المبلغ الذي بعته بها .. ماذا ستقول عني غدا .

٢٦ / ٨ / ١٩٧٩

جعلت انقب تحت الفراش كاني سأجد القلادة ، مع علمي باستحالة ذلك .. حتى بلغ مني الضيق بان انخرطت في البكاء .. دخل علي الصبي الكبير ، سألني بنفس لهجة امه الرقيقة عما يبكيني .. ذكرت له انني لم اجد القلادة ، واخشى ان تتهمني سيدتي بسرقتها .. فضحك مطيبا خاطري قائلا لا عليك سأكلمها في الموضوع .

٢٨ / ٨ / ١٩٧٩

غريب كل شيء في هذا المنزل ، على الرغم انه لا يوجد شيء يدل على الغرابة ، مر يومان ولم تسألني سيدتي ان كنت بحثت عن القلادة .. كأن شيئا لم يحدث .. احس براحة .. ولكني احتقر نفسي .. لقد عاقبتني فعلا .

١ / ١ / ١٩٨٠

هذا اول يوم في السنة الجديدة ، كل شيء في هذا المنزل مثله في اليوم السابق له ، لا تغيير في الابتسامة .. ولا تغير في مسابقة التحية الصباحية ولا شيء اكثر من ذلك .. ولكن الايام رغم انها رتيبة الا انها غير مملة ابدا .. لعل الايام ها هنا اشبه بايام الجنة .

رغم انني اسمع بمشاكل عجيبة تحدث لزملائي من الخدم ، ورغم انني ازاء مشاكل اعجب في الشارع .. الا ان كل ذلك كأنه خارج نطاق منزلنا ، بل لكأن منزلنا محصن بحصن لا تخترقه المشاكل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قال لي زميلي في الليلة الماضية انه احتج على مرتبه ، وهدد بترك العمل والسفر الى بلده .. وانه حصل نتيجة لذلك التهديـــد على زيادة مقدارها خمسة دنانير شهرية .

ايقظ زميلي بقوله هذا شيئا من الجشع في نفسي ، لما لا اجرب .. ومع ذلك اليست هي مرتاحة من عملي بدليل انها لم تعنفني في اي يوم ، المهم طلبت منها زيادة اجري من اول الشهر القادم ، قلت لها انني اتحمل جميع اعباء المنزل ، وان اجري ضئيل قياسا الى عملي .

قطبت حاجبيها ، وقالت بنفس النبرة الهادئـــة التي تميزهـــا ، ان الاتفاق لم ينص على زيادة قبل مضي المدة المتفق عليها .. ثم همت بالانصراف من المطبخ قبل ان تتم العمل الذي بيدها كعادتها ان لم يعجبها حديثي .. انفعلت ، فصرخت خلفها ساساغر . التفتت وهي لا تزال مقطبة ، وبنفس النبرة الهادئة قالت .

ـــ اعمل الذي تراه يريحك .. ولكن اعلم ان سفرك سيكون على حسابك الخاص .

يا لها من امراة حديدية الارادة .. حازمة في غير عنف .

اغضبني اشد الغضب انني لا استطيع اثارتها باي شكل .. حمدت لنفسي انني لم اعد لها قلادتها المفقودة ، بل ســـوف اسـطو على غيرها ان امكنني .

في نفس ليلة هذا اليوم استسخفت فكرة سطوي على مصاغها .. يالي من غبي .. طبعا لم اكن جادا في تهديدي ، ولذا لن افاتحها بالزيادة مجددا

٣٠ / ١ / ١٩٨٠

فوجئت هذا اليوم عندما دفعت لي دينارين زيادة على مرتبي ، يا لها من امراة طيبة .. ناولتني اولا مرتبي المعتاد وعندما اخذته وانصرفت صامتا استدعتني وناولتني الدينارين ، قائلة هذه ستكون زيادة مرتبي الشهرية . الحمـــد لله .

٣ / ٢ / ١٩٨٠

لو ان صاعقة نزلت علي من السماء لكان ذلك اهون علي مما رايت هذا الصباح .. في الوقت الذي كنت اعد الفطور كالمعتاد ، وقف في باب المطبخ رجل في حوالي الاربعين من العمر ، طويل كالعملاق ، اشعث اغبر له جفون متورمة ، وفم صغير معوج قليلا ، وملابس متسخة .. وعندما

راى دهشتي قال في انكليزية ركيكة .

— الاب .. انا .

جاهلا ان الصفة تسبق الموصوف في اللغة الانجليزية .. متى حضر هذا الاب ، لكأن الارض انشقت واخرجته ، ان الساعة لا تزال الخامسة صباحا .. كلهم نيام .. لم اسمع طرقا في الليلة الماضية .. لعله حضر في منتصف الليل .. من اين حضر .. لم اكن اعلم ان له وجودا طيلةسنتين .. لقد خمنت جميع الاحتمالات ، الا احتمال حضوره ، انه يشبه صورته المعلقة في الصالة ، وفيه شبه كبير من اولاده ما عدا النضارة والرواء .. ان صورته اجمل وانضر منه الان .

رحبت به بتكلف .. واخذ قلبي يخفق بشدة لا ادري لماذا .. القى نظرة فاحصة على المطبخ ، ثم انسل كالشبح داخل المبنى .

عند احضار الفطور الى غرفة الطعام تلكأتكثيرا كي القي نظرةعليها شاهدتني في موقفي المتشاغل ، احمر وجهها ، وابتسمت رغما عنها ،تبدو سعيدة ، وعلى وجهها امارات انتصار على شيء مجهول .

وهي تلقتني عمل الغداء تجرات فسالتها عنـــه ان كان بخير ، فلم تجب بغير ايماءة من راسها .

لم استطع ان احرك منها ساكنا وهو غائب فكيف وهو الان حاضر .. لكم اشعر بالتعاسة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



٨٠/٢/٤

علمت اليوم من خادمة جارتنا التي تعمل في خدمتها منذ خمسة اعوام ان زوج مخدمتي غائب عن منزله منذ اربعة اعوام ، لم يحضر خلالها ابدا . . وقالت ايضا انها سمعت من الخادمة التي كانت في منزلنا قبل مجيئي ان هذا الزوج أحب امراة لعوبا ليس من بلده ، وهجر زوجته واولاده . . وعقبت بعد ذلك قائلة ، يبدو ان هذه المراة اللعوب نبذته بعد ان امتصت جميع ما في جيوبه ، لذا لم يجد بدا من العودة ، فقلت ، وعاد محطما ، ولكنه وجد صدرا رحبا من زوجة صانت عهده ، ولعلها لم تساله اين كان او لماذا عاد .

فقالت زميلتي ، ومع ذلك فانا متاكدة لو ان تلك اللعوب اشارت له بطرف اصبعها لعاد لها مرة اخرى .

فقلت ضاحكا :

ــ تاركا الملاك مهجورا . . لعلها متاكدة مثلك من هذا الامر ؛ ولكنها راضية بلحظتها العزيزة هذه .

كل حدث سعيد يحدث في محيط الاسرة ، تمنحني بمناسبته مبلغا من المال ، يقل او يكثر حسب تقديرها لاهمية ذلك الحدث ، قائلة لي في كل مرة ان وجهك سعد علينا .

نجح أولادها في الامتحان فمنحتني مبلغا من المال . . ومرة اخرى جاءها مبلغ لم تكن تتوقعه فمنحتني ايضا . . ومرة ثالثة فيما اظن حصلت على درجة في وظيفتها فحصلت على هبة اخرى . . وكنت افرح غاية الفرح بهذه المبالغ غير المتوقعة .

وها هي اليوم تمنحني هبة اكبر بكثير مما سبق . . اذن فهي تعتبر حضوره حدثا سعيدا . . ولكني لم افرح بالمبلغ رغم كبره .

٨٠/٣/٤

كففت نهائيا عن مجرد حلم كنت أعلم مسبقا انه بعيد التحقيق . . رددت الى الواقع بقسوة . . لكم اكره هذا الرجل لا اطيق رؤيته ، انه لا يتركها لحظة واحدة ، لكأنه يعوض الاعوام الفائتة ، اين ما تمضي داخل المنزل فهو خلفها او امامها او بجانبها . . اليس له عمل يشغله ؟ . . قيل لي انه غني بماله الذي ورثه عن ابيه ، ليس له الا ان يصرفه . . اذن لماذا جاء على تلك الحال المزرية . . انه الان نظيف لامع ، ولكن ابتسامته المعوجة لم تتخل عنه ، وعينه أيضا لم يفارقها ورمها . . لكم امقته . . لم تعد تولي اهتمامها لاحد غيره . . حتى طفلها ذو السادسة بدا يغار من ابيه ، ولا

بطيقه يجلس بجانبها . . اراه دائما يزاحم بان يجلس بينهما .
[illegible] لها هي فقد زادوزنها قليلا ، لعل ذلك حدث لها من الراحة النفسية التي تشعر بها ، لكانها نبتة عجفاء ايفعت بسقوط المطر الغزير .

الذي يضحك في الموضوع ان الصبي الصغير لاحظ ذلك ، فاخذ صورة قديمة لها تبدو فيها بدينة نوعا ما . . اخذ الصبي يضع هذه الصورة كل يوم امام المائدة مذكرا اياها بعدم الاسراف في الاكل . . لست ادري من اين جاء بهذه الفكرة . . كانت تضحك عن نواجذ بيضاء لؤلؤية من نعلة الصبي . . وظلت تنظري الى ما يفعله وانا اصف الصحون على المائدة . . ولكن كان الاب متخشبا ، زاما شفتيه بقوة كما لو كان هناك من سيجبره على الابتسام . . لعله حانق من حديثها معي .

ليته يعلم كم زوجته وفية له . . قد يموت وهو غير متاكد من ذلك . . لعله يظن ان في غيبته حدث منها او لها شيء ما . . لو كنت استطيع ان اخبره . . لو كان صديقي . . وهيهات ان يكون . . لم يعنفني في يوم ما ، ولكنه ايضا لم يحدثني باي شيء غير صباح اليوم الذي اتى به . . لا شك انه يكرهني . . قلبي يحدثني انه يكرهني ، يمقتني . . ولو كان بمستطاعه ان يجرحني لفعل . . ولكن غيبته الطويلة هذه جعلت اسرته تشعر بنوع من الاستقلال والاعتماد على النفس ، مما افقده جزء غير متناهي من سيطرته على عائلته الصغيرة .

المحل [illegible] الوحيد [illegible] التجارية ، [illegible] خسائي لو . . . [illegible] ، ولكنها ، حتى قليلة . . [illegible] ؛ كما تعمل الاشياء من حولي ، ونعمت لحسابي باجر اكبر .

١٣ / ٨ / ٥٠

انه يضرب مثلا بيني وبين زوجته الاسراء او بالاحرى بينه وبين نفسه . . فالحرب سجال ولكن من طرف واحد . . من عرفته هو وحده . . اشعر به واكاد من غيظي ان احكي شفقة له . . انه يتلمس كلما راى امكانيه لذلك . على امل ان يرى موقفا لي مع زوجته يشي باني بدأت . . ولكن بما انه لا يوجد شيء من ذلك ، فهو لا يجد غير الخواء . . لعلها تشعر بلصلحته تلك ، ولعلها تسر في اعماق نفسها لحركات الغيرة الصبيانية . . اين كنت اذن طيلة هذه الاربعة اعوام ؟ ولماذا لم تخف عليها من الفتنة ؟!

اما هي فلا شيء يبدو عليها يشف ما بداخلها . . تتصرف بهدوء وطبيعية ، مثلها في السابق ، كان شيئا لم يتغير البتة . . نعم كان شيئا لم

يحدث ، وكأنه لم يغب الا بضع ساعات .. يخيل لي احيانا انها محاطـــة بشيء كثيف يمنع عنها تسرب الأحداث التي تؤلمها .. دائما هادئة .. دائما مبتسمة ، لكأنها ملاك يتحـــرك .

اما هو فكان كالقط النافر مشرع مخالب طويلة قوية معقوفة ، يتحفز للانقضاض على الفار الضعيف الذي هو انا ، غير عارف انه فار اعجف لا يملأ ما بين اسنانه .. بل بالأحرى انه فأر من ورق ، وليس فارا حقيقيا يستحق أن يهاجم .. هكذا جعلتني .. ولكن ما يدريه .. لقد راى وسامتي وشبابي وعنفواني فظن ان لهم صدى .. هه اي صدى لقد بدات اشك ان ليس لهم صدى في اي مجال اخر .. ولكن المسكين ما يدريه .. انه دائم التلصص .. دائم التحفز .. ولكنه لم يستطع أن ينشب اظافره المسننة في هذا الفار الورقي لسبب واحد ، انه لم تكن هناك اية فرصة متاحة .

لم لا يطلب طردي .. لعلها سترفض طلبه .. او تكون قد رفضته فعلا ، لانه لا يوجد سبب يبرر ذلك .. وها هو جاد دائما في البحث عن سبب .

اود ان اعطيه نصف عمري واسمح له بايجاد سبب حقيقي لطردي .. ولكن هيهـــات .

★ ★ ★

الى هنا وانتهت الاوراق . عجبت في نفسي ، اذن لم هو قادم غدا ، تصحبه زوجته ، كيف سمح له صاحبي بالحضور مرة اخرى طالما انه على ما يصفه من كراهية له ، لا بد أن في الامر سرا ، ثم كيف نسي هذا الخادم قسمه على السفينة بأنه لن يسمح بحضور زوجته او اي من اقاربه .. فهل الكسب المادي يحلل الايمان .. ؟

قررت ان اقوم بترجمة هذه المذكرات لاحذر صاحبي منه ، ولكنني اجلت الموضوع لحين حضور الخادم وسؤاله عن كل ما جاء بهذه الاوراق ، لعل عنده ما يبرر .

وفي نهار اليوم التالي زرت صديقي ، كي ارى الخادم واحادثه .. واختلقت فرصة بان طلبت ماء لسيارتي قبل انصرافي ، وعندما احضر الخادم الماء المطلوب ، وقفت معه في الخارج ، وابرزت له الاوراق التي كتبهـــا . اصفر وجهه .. ومد يده في حركة تلقائية لتناولها مني ، ولكني ابعدتها عن متناوله .

ـــ كلا ، سوف اترجمها لسيدك ، لنرى أي نوع من الخدم انت .

فقال متوسلا :

ارجوك يا سيدي .. أنت لم تفهم الوضع على حقيقته ، لقد تحسنت علاقتي بسيدي .. ثم هناك زوجتي معي .. كل ما جاء بها عبارة عن تهيؤات .. وما هي الا محاولات في الكتابة ليس غير .

قلت :

— ولماذا لا تكتب بلغتك الاصلية ؟

لا اقرا بها كثيرا ، لذا لا اجيد الكتابة بها .

ومد يده مرة اخرى محاولا اخذ الاوراق .

فقلت ، كلا لقد كلفني بترجمتها .

عندما يأس من محاولة اخذها مني قال :

— حسنا .. سوف احضر بقية المذكرات ، لتفهم الوضع على حقيقته .. وبعد ذلك لعلك تقتنع بعدم جدوى ترجمتها لسيدي .

قلت :

— وهناك بقية ؟ .. حسنا .. هات الباقي .. وسنرى .

وفي نفس مساء اليوم ، قرأت بحب استطلاع كبير .

٨٠/٦/٦

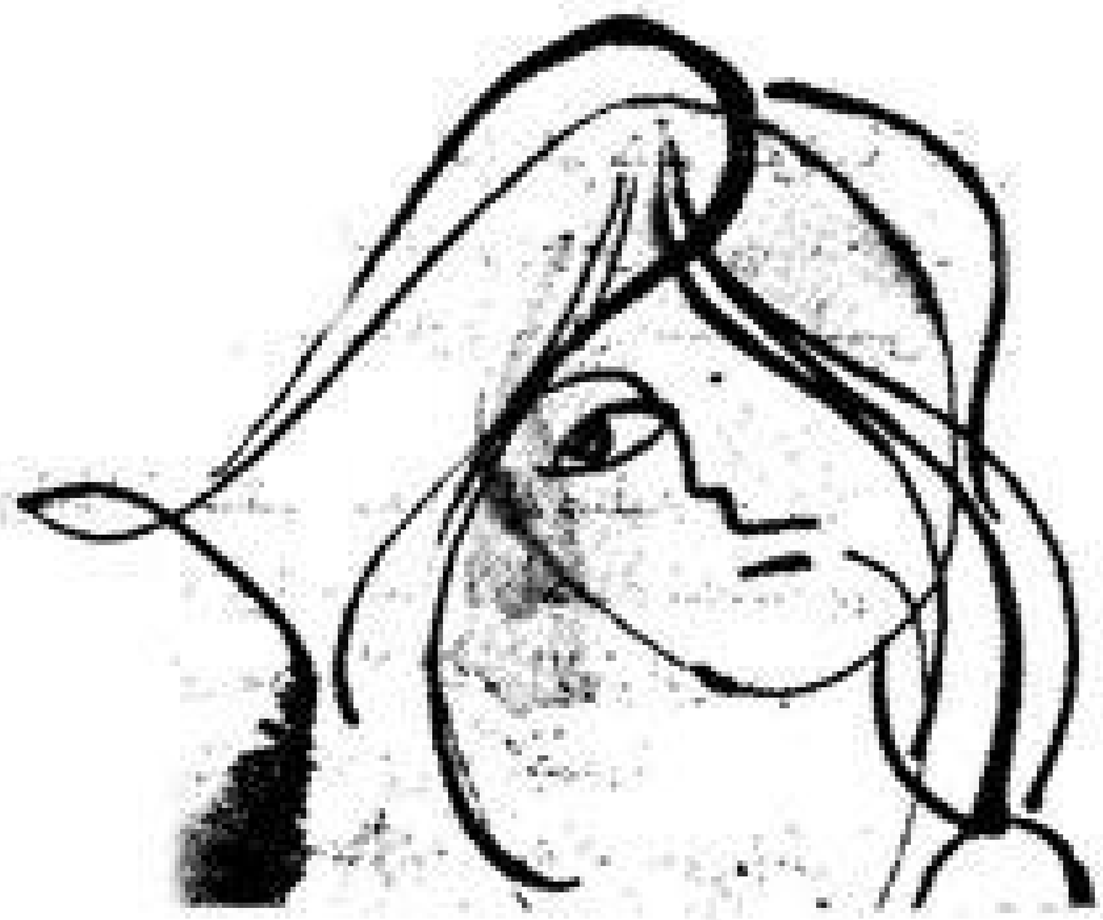
اليوم وانا احزم حقائبي استعدادا للسفر لبلدي الحبيبة ، بدا على جميع افراد الاسرة الاسف لانتهاء خدماتي الا هو ، اذ اظهره لي ، ودخل غرفة نومه .. شعرت بحقد كبير ، ماذا فعلت له .. غير اني خدمته باخلاص .. خرج من غرفته وبيده مفاتيح سيارته ، ظننت انه سيقوم بتوصيلي الى الميناء ، حيث ترسو الباخرة التي ستقلني لوطني ، ولكنه صفق الباب على عجل ، كانه يخشى مناداته .

نظر الصبي الاكبر الى امه ، ونظرت الام الى ابنها ، تفاهما بالنظر ، قالت لي سيدتي : هات مفاتيح سيارتي ، أعتقد انك لا تستطيع حمل الاغراض التي معك بمفردك .

كانت قد زودتني بكمية كبيرة من الثياب التي هم في غنى عنها ، ملات بهم ثلاث حقائب .

دخلت الغرفة لاحضر المفاتيح .. فتحت الدرج ابحث عنها .. رايت محفظته المتخمة بالنقود .. دون وعي مني ، وفي رغبة عارمة للايذاء ، دسستها في جيبي .

كنت اخر راكب وصل السفينة وهي على وشك الاقلاع ، صافحت الصبي وامه مرة اخرى ، وقبلت الصغير .. وما كدت ادخل السفينة حتى انفجرت الدموع من مآقي .



٨٠/٦/٧

لم انم الليلة الماضية ... لقد اتفقنا حقدي عليه ، ولم يبق لي غير محفظته المليئة بالنقود .. اشمئززت منها فلم أحاول فتحها ، هممت عدة مرات بان القي بها في اليم ، ولكنني فكرت ان عملي هذا حمق ، لن يفرج كربي ، ماذا ستقول هي ، فكرتها عني ، لا بد انها ستظن اني لص حقير ، وانا الذي سعيت جاهدا لكسب احترامها بعد ان عجزت عن الفوز بحبها تذكرت قلادتها التي بعتها لضاعف الي . ها انا ادور على سطح المركب كل من فيه يموج بفرحة العودة الى الوطن ، الا انا ، تحاشيت كل انسان ضاحك مستبشر ، وانفردت بنفسي في مكان بعيد يلفني العبوس .. حاول احدهم التسرية عني ، بسؤالي عما بي ، ولكني صددته بجفاء ، فلم يعد لي .. ها انا اعصر ذهني .. أوه .. لماذا لم افكر بهذا من قبل .

استمرت ورقة من قبطان السفينة ، واخرجت قلمي ، وها انا اكتب اليهـــا .

« يا اعز انسان رايته ، واحترمته .. بل قدسته .. لعلك تجدي لي العذر عن غلطتي ، مثلما تفعلين في كل مرة .. لم اسرق المحفظة طمعا بها .. وكذلك من قبل لم اسرق القلادة طمعا بها .. وانما لاسباب قد تفهمينها وقد لا تفهمينها ، وقد لا تكون هذه الاسباب تحمل التبرير اللازم لغلطتي .. وانما المهم اني الان اعيد المحفظة دون ان احصي ما بها الا لكي ارسل محتوياتها ، واعيد معها ثمن القلادة التي بعتها بتسرع وطيش .. ولكن لي رجاء واحد ، هو ان لا تعيدي النقود اليه .. دعيه يكرهني لسبب حقيقي .. وليس كما فعل لسنة كاملة . « خادمك المخلص »

ARCHIVE

٨٠/٦/٨

الساعة تتكتك قرب اذني ، وزندي متخدر لتوسدي اياه .. لا بد اني نمت نوما عميقا متصلا .. نظرت الى الساعة التي أهدتني اياها عند عودتها من احدى سفراتها ، فوجدتها العاشرة صباحا .. شعرت بوخز الضمير .. ولكني حالما استعدت وعيي كاملا تذكرت انني بعثت بالرسالة والنقود بواسطة التكس يوم امس من داخل السفينة ، فزال مني كل ندم .. الحمد لله .

٨٠/٧/٩

استقبلتني اليوم زوجتي بفرحة منقطعة النظير ، وفرحت انا بهم ايضا .. وبينما انا انزل حمولتي من العربة التي اقلتني قالت زوجتي في معرض ثرثرتها عن كل شيء .

ـ وصلتك رسالة من مقر عملك في الكويت ، منذ يومين .

فتوقفت ، والقيت ما بيدي ، وصحت منلهفا ، اين هي ، عانيها .

فضضت المظروف بيد ترتجف ، كان بداخله ورقتان عليهما ختم الحكومة ، ومكتوبتان باللغة العربية . ومعهما قصاصة من الورق مكتوبة باللغة الانجليزية تشرح ما بهما ، قالت القصاصة :

« تجد اذني دخول لارض الكويت ، احدهما لك والاخر لزوجتك ، مدتهما ثلاثة شهور .. فاذا كنتما ترغبان بالخدمة لدينا فاننا نرحب بكما »

وكان التوقيع باسم الزوج .

أوه .. اذن فقد غفر لي .

★ ★ ★

ضحكت من كل الملابسات ، وقلت في نفسي ، ترى هل هذا نموذج لكل خدمنا ، ام هو حالة فريدة ؟! . قد يكون في بعض المواقف حالة خاصة ولكنه في الاطار العام فهو نموذج . وعلى كل فقد قررت ان لا اسلم ترجمة هذه المذكرات لصديقي ، كي لا احرم زوجته من خدم مخلصين .. سأعتذر لـــه بفقـــدهم .

وبما اني اعرف عن صديقي عدم محبته لقراءة الاثار الادبية من اي نوع .. فقد قررت ان انشر ترجمة ما جاء بها عبرة لمن يعتبر وانا مطمئن .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خواطر

نجمة عبدالله ادريس

شاعرة وكاتبة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ليس كل شاعر كاتبا ؛ وليس كل كاتب شاعرا . وقليلا ما تجد شاعرا كاتبا في آن . وكلا الشعر والكتابة موهبتان يتميز بهما بعض الناس عن غيرهما ، وقد حاول كثير من الشعراء دخول معترك الكتابة لكن موهبة الشعر تغلبت عليهم ، وظلوا شعراء يعبرون عن معاناتهم بالشعر فابدعوا اي ابداع . كما حاول كثير من الكتاب خوض غمار الشعر ففشلوا وكادت ان تغرقهم بحوره ، فبقوا كتابا يترجمون مشاعرهم ويسجلون افكارهم بالكتابة . لكن هناك شعراء ملكوا ناصيتي الشعر والنثر معا ، وعبروابهما اجمل تعبير عن معاناتهم وعما يختلج في عقولهم وقلوبهم من افكار وآراء ورؤى ، بعضهم تطغى عليه موهبة الشعر فتتغلب على نتاجه اكثر من النثر وبعضهم تطغى عليه موهبة النثر فتتغلب على نتاجهبشكل اقوى من الشعر

ان للشعر بحورا متلاطمة هادرة ، تهدا طورا ، وتضطرب طورا اخر

بقلم: عبدالله زكريا الانصاري

ولا ينجو منها الا السابح الماهر ، وللنثر دروب ملتوية مرة وسوية مرة اخرى ولا يسلم من الضياع فيها الا الذي يدرك مسالكها .

الذين يفرضون انفسهم فرضا على الشعر دون ان تتوفر فيهم موهبته يفشلون وهم مثل الذين يفرضون انفسهم فرضا على النثر دون ان تتوفر فيهم موهبة النثر ، فجميعهم فاشلون ، اذن لا بد من موهبة واستعداد .

نقرأ هنا اوهناك في صحيفة يومية ، او مجلة اسبوعية او شهرية ، قصيدة لشاعر ، او مقالة لكاتب اخر ، فلا تجد فيهما روح الشعر ولا روح النثر ، وانما تجد لغوا وهذرا ، وكلاما جامدا لا حركة فيه ولا حياة .

وانت اذا امعنت النظر حولك ، وتتبعت هذا السيل الجارف من القصائد والمقالات لا تبصر الا اقلاما ضعيفة هزيلة ، وكلمات ركيكة جامدة ، وافكارا فجة مرتبكة ، بل انها ليست افكارا ، فالافكار لا تصدر الا عن فكر الا اذا كان هذا الفكر ناقصا خلوا من موهبة الشعر او النثر ، وهل تنتظر من النحات ان يكتب لك قصيدة على الورق ، او تطلب من الرسام ان يكتب لك مقالة ؟ ومع ذلك تجد ان هؤلاء الذين يفرضون انفسهم فرضا على الشعر او الكتابة ابعد ما يكونون عن الشعر والنثر ، بل ابعد ما يكونون عن النحت والرسم ، فليسوا من هؤلاء ولا اولئك ، لهذا تجدهم فاشلين فيما يكتبون من شعر او نثر .

ان الشعر يملأ صفحات كثيرة من مجلاتنا وجرائدنا هذه الايام ،لكنه شعر لا يقوم على اساس الشعر ، ولا يستند الى اصوله ، ولا يعتمد على

قواعـــده ، واهـــم ما يميز الشعر من اسس واصول وقواعـــد ، انمـــا هو صدق الشعور ، وصدق المعاناة بجانب الموهبة . ولا يخلو النثر ايضا من اصول واسس وقواعد .

اذن فعلى الشاعر والكاتب ان يحسبا حسابهما قبل ان يزجابانفسهما في معترك هذين الفنين العظيمين .

ان الحروف هي الحروف ، والكلمات هي الكلمات . وكذلك الجمـــل وبيوت الشعر . الا ان هذه وتلك قد تاتي صامتة ، وقد تاتي متكلمة ناطقة وقد تاتي متفعلة فاعلة ، وقد تاتي باردة مملة .

ليست المشكلة هي مشكلة البيوت أو الابيات . او الجمل او الكلمات او حتى الحروف ، لكن المشكلة هي مشكلة الشاعر او الكاتب . فرب شاعر يعبر عن فراغ ، ورب كاتب يكتب من خواء ، والخواء والفراغ لا يدلان على شيء ، ولو كان فيهما شيء لملأهما ولم يصبحا خواء او فراغا .

الشاعر هو الذي يحرك الجامد . وينطق الصامت . ويحيي موات الكلمات ، بل انه يرقص ببيوته الشعرية كل ساكن . ويطرب بقصائده كل خامل ، انه ينفث من روحه المعاني ويملأ بها الكلمات فاذا بالميت يصير حيا والصامت ناطقا ، والجامد متحركا .

ولنعل سائلا يسأل كيف استطاع هذا الشاعر ان يفعل فعله هذا ؟ اذن لا بد من القول ان الشاعر الشاعر هو الذي لا ينشد شعره الا اذا تفاعلت في نفسه المعاناة . ان حزنا وان فرحا ، ان المعاناة وحدها هي التي تشحن الشاعر بالطاقة الشعرية فتدفعه الى التعبير عن معاناته . والشاعر عما يختمل في نفسه . وهنا هنا ينشد الشاعر شعرا معبرا حي يعبر بالمعاني التي تنفثها روحه في كلمات الشعر وفي بيوت القصيدة . فالشاعر تولد . فاذا لم تسمع الشاعر المتنبي وقد استبد به الشعر . وحامت حوله المعاني . وتراءت امامه صور القوافي مجنحة رائعـــة . فراح يمعن بالشعر شعرا وبالقصيد قصيدا وبالمعاني معاني ذات الوان زاهية ؟ انه يقول : ـــ

وما انا وحدي قلت ذا الشعر كله

ولكن لشعري فيك من نفسه شعر

وهكذا الشاعر الفذ الذي توفرت لديه كل اصول الشعر وقواعده ، وكل مميزاته ، بل كل ما يجب ان يتوفر للشعـــر وللشاعر ، ان الشاعر المتنبي يقول في هذا البيت انني شاعر اذا قلت شعرا اصبح الدهر منشدا ومع ذلك فشعري شاعر ايضا ، انه لا يكتفي بشعر نفسه وانما يضيف اليه شعر نفس شعره . ان لشعره نفسا كما له نفس . ولشعره شعر كما له شعر ، انه عالم شعري بحت ، ليس فيه الا شعر تسكنه المعاني

وتجوبه عرائس الشعر بجمالها ودلالها طورا ، وشياطين الشعر بجبروتها وبأسها طورا اخر ، وماذا يفعل الشعر عند الشعراء ، وعند الذين يفهمون الشعر ويدركون معانيه السامية ، ويلمسون بقلوبهم وجوارحهم ومشاعرهم وارواحهم خطراته ولمحاته ورؤاه النورانية التي تضيء القلب ، وتثير النفوس ، وتشع على العقول والافكار ؟ ولعل هذا هو ما يريد ان يقوله الشاعر في بيته هذا وفي البيت الذي قبله عندما قال :

وما قلت من شعر تكاد بيوته

اذا كتبت بيض من نورها الحبر

اجل ، وهل في هذا القول مبالغة ؟ ليس فيه اية مبالغة ، وانما هو حقيقة واقعة ، فشعر كشعر المتنبي تشع بيوته نورا مهما كان لون الحبر الذي كتبت به ، فالشاعر الشاعر نابع من نفس شاعرة ملهمة . وعندما نتذكر بيت عمر الخيام لم نجد اية مبالغة فيه ايضا ، فالشاعر الشاعر عندما يدخل عالم الشعر البحت يتصور ان الدنيا دانت له وملك ناصيتها وراح يزهو بها في شعره ويجوب عالمها الخفي ، وبيت عمر الخيام هو الذي يقول فيه :

تدين لي الدنيا بل السبعة العلى

بل الافق الاعلى ، اذا جاش خاطري

انه في هذه اللحظة الشعرية يحلق بعيدا بعيدا عن العالم المادي ، ويسمو في عالمه الشعري ، بين الثواني باعنانها الطويلة الجميلة الممتطة الى الافق الاعلى ، واطالها الهضيمة المثيرة المستفزة بكسر الفاء ، ومعانيها التي تخوض غمار القلوب وتتغلغل في خبايا النفوس !

هذا هو الشعر وهذا هو الشاعر ، انهما عالم لا يدرك بالارقام المادية ولا فوق سطح الارض بعيدا عن الفكر المجنح ، وليست الافكار كلها مجنحة ، ولو كانت كذلك لتساوت فوق مستوى سطح الارض ، لكن بعضها تابع في التراب لا يستطيع ان يرتفع عنه ، وبعضها فوق السبعة العلى ؛ وبعضها يرفرف فوق الافق الاعلى ، وتلك حقيقة من حقائق الشعر ، ليس فيها مبالغة ولا خيال وهمي ، والذين لا يدركون الامور يظنون الخيال وهما وليس الخيال الا حقيقة واقعة من حقائق الحياة ، وما الوهم الا ظل من ظلال الخيالات القاصرة او المريضة ان شئت .

اما النثر فقد خاض ويخوض في شانه الكثير ، لكن النثر الذي نعنيه انما هو النثر الذي يعبر عن معنى ، ويرمي الى هدف ، ويبحث عن غاية . . انه النثر الذي يعكس صورة الواقع ، ويصور الحقيقة ، ويبتعد عن الزيف والزيف كثيرا ما يملأ النثر لدى الذين يريدون ان يكونوا كتابا او ناثرين باقل جهد . . ويرتفع النثر احيانا ويرتفع حتى ليكاد ان يصل الى مرتبة الشعر

او يكاد ان يلامسه في معانيه وفي رؤاه ، وهكذا يرتفع النثر ويسمو عند اصحاب القلم من الشعراء والمفكرين والادباء .. هذا هو النثر الذي نعنيه والذي يتميز بالصدق وبالمعاناة ، ويتميز بالمعاني الهادئة ، النثر الذي لا يسطره كاتبه الا اذا وجد الدافع ، وتوفرت لديه الاسباب التي تدعوه للكتابة .. والكلام يطول ويطول اذا ما تركنا الفكر يسبح في بحار المتلاطمة ولا بد اذن من الامساك والتوقف قليلا لنتمعن في شعر شاعرة من شاعراتنا التي اخذت تتلألا بشعرها الوجداني ، وكانت قد طلعت علينا منذ فترة من الزمن ، وكنت خلال قراءتي الكثيرة اتوقف عند شعرها ، واتمعن فيه ، وفي اخيلته ، واتفكر في معاناته وفي انفعالاته ، بل انه يوقفني عن المضي في قراءتي ، ويتلفني نحوه تلا ، فاعيد قراءتـــه مثنى وثلاث ورباع في كثير من الاحيان ، بل ومنذ فترة ليست قصيرة من عمر الزمن القصير ، وكان بعضه منشورا باسم مستعار ، وادركت بعد لأي من الزمن ان بعضه الاخر منشور باسم صريح ، واكبرت روح هذا الشعر الطالع علينا ، والمتميز باسلوبه ، وبمعاناته ، وبخيالاته ، ولا بد للشعر من روح تميزه عن غيره ، ولا بد له من معاناة ايضا ، ولهذا فانت تقرأ لشاعر قصيدة تختلف عن قصيدة اخرى له حتى ولو كانت في نفس المعنى ، تختلف نفسا وروحا ومعنى ، فمثل هذا الشاعر لا يكتب شعره دائما وابدا عن دافع ومعاناة ، بينما تقرأ شعرا متعدد المعاني وتجد فيه نفس روح الشاعر ونفس نفسه بفتح التاء الثانية وسكون الفاء الاولى .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في قصيدة (حيرة) او (اين القي ذات نفسي) تجد صراعا مع النفس عنيفا ، انه صراع شاعرة مع نفسها في هذا الوجود العجيب الذي يحسبه البعض او يظنه كثير من الناس وجودا لا تكتنفه عوالم هائلة من الاسرار والمجائب ، لكن هؤلاء الكثيرين وهؤلاء البعض لا يحملون نفس المعاناة التي يحملها الشعراء الباحثون عن الحقيقة وللحقيقة ابعاد وابعاد ، ودون ادراكها خرط القتاد كما يقول العرب ، تقول الشاعرة في حيرتها هذه : ـــ

ايـــن القـــي ذات نفســـي

يـــا متاهـــات الوجـــــود

وللوجود متاهات لا نهاية لها ، والشاعر يدفعه احساسه في دخول هذه المتاهات بحثا عن الحقيقة ، وذات الوجود . وتمضـــي الشاعرة في بحثها في هدوء الفضاء وفي هدير الرعود ، وفي مدار الفلك والبدر الوضيء وفي هدوء النفس ، واضطرابها ، وفي خفقان القلب ، وفي الاحلام الرهيبة والجميلة على حد سواء وتمضي في حيرتها وتقول : ـــ

ايــن القــي ذات نفســي
حينمــا النشــوة تســري

في عظامــي في عروقــي
في حشــا قلبــي تجــري

انــا في جنــة الخلــ
د وفــردوس النعيــم ؟

انــا فــي قطــرة ظــل
قــد تبــدت ذات فجــر ؟

انــا خمــر وأ شــذاء
وافــراح وانــس

ثم تمضي وتمضي في بحثها عن الحقيقة بكلمات شعرية متناسقة ، كما فعل شاعر من قبلها «ابو ماضي» في طلاسمه ، والشعراء يفكرون ، والفكر واجب على الانسان الا ان الشعراء ذوو احاسيس مرهفة ، ومشاعر شفافة ، يعانون بؤس الحياة وشقاءها اكثر من غيرهم ، ويعانون فرحها ومرحها ، ولهذا تستبد بهم مشاعرهم الشفيفة ، واحاسيسهم المرهفة ، فيغنون فرحهم ومرحهم ويطربون ويطربون لحظات عابرة ، فيغنون بؤس الحياة وشقاءها ردحا من الزمن فيحزنون ويحزنون ، وهكذا تمضي بهم الحياة ، مرة في نعيمها ، ومرات ومرات في شقائها وجحيمها ، وذوو المواهب الشعرية الذين يتفكرون في الحياة هم الذين يمضون في مسالكها ودروبها ويجوبون متاهاتها بحثا عن الحقيقة .

ان شاعرتنا هذه شاعرة بحق ، فيشعرها وفي نثرها ، انها صادقة مع نفسها ومع الشعر ، كما هي صادقة مع نفسها ومع النثر ، انها تنظم معانيها شعرا متألقا كما تنثر معانيها نثرا متميزا عن النثر ، والكثير من النثر لا تجد فيه روح المعاني التي تجيش بها روح صاحبه .

في كلمتها (ضالتي) المنشورة في مجلة البيان عدد مارس ١٩٧٩ تجدها تمضي مضيا في نثرها كما تمضي مضيا في حيرتها بحثا عن الحقيقة ، والحقيقة هي ضالتها ، هذا نثر وذاك شعر ، لكن المعاناة واحدة ، والنفس واحد بفتح الفاء ، واكاد ان اقتطف عبارة من (ضالتي) لكني اترك القارئ يقرأ هذه الكلمة او القصة، سمها ما شئت فلسوف يجد فيها نفس روح الشاعرة التي وجدها في قصيدتها (حيرة) ، حيرة هنا وحيرة هناك ، وبحث عن الحقيقة في النثر القوي المترابط الجميل ، وبحث عن الحقيقة في الشعر المترابط الجميل .

و (امتزاج) نفحة شعرية ، عد اليها في مجلة البيان عدد ديسمبر ١٩٧٧ ، تبدا بها بالليل ثم تمضي بها ويجذبها الشعر جذبا هنا وهناك ، فيغار منه النثر ويحاول التدخل ، لكن الشعر وقد استبد به التتابع يدفعه دفعا ويصده حتى يتغلب عليه ، ويختفي النغم من الايقاع لكنه يدخل متغلغلا بين القصيد

و (انتظار) قصيدة شعرية تتاجج نارا ترمي بشررها ، وليلها جريح ويومها قاحل ، وجوانح الشاعرة ملتهبة ، وقلبها ينزو نزوا .

انها تفاعلات شعرية تدفع الشاعرة الى العروج في سماء الشعر العالية ، حيث الرؤى المجنحة ، والخيال الواسع ، والصور الملونة ، والمعاني المشعة تقول مختتمة قصيدتها : ـ

كن جذوة ـ باعثي ـ في الصدر حارقة
وان اردت ـ فمعنى صاغه القدر
او بحر سكر لذيذ هزني شغفا
في ضفتيه سكون الموج يحتضر
كن كالطفولة كالاسرار تذهلني
كالدمع كالصمت كالامطار تنتظر
كن ما تشاء ولكن لا تمر علي
افقي سرابا كذوب اللمع ينحسر

تأمل المعاني ، وتأمل الكلمات المشحونة صورا ، تأمل الجذوة الحارقة والمعنى الذي صاغته كف القدر ، وتأمل بحر السكر الذي يحتضر على ضفتيه سكون الموج ، وتأمل الطفولة والاسرار والدمع والصمت ، بل الامطار المنتظرة بفتح الظاء ، وأي شيء عزيز على ابن البيئة القاحلة مثل المطر ؟ وهل تأملت ذوب اللمع ، انه جميل جميل رائع ، لكنه سرعان ما ينحسر سرابا ، ولعله ليس خادعا هنا كسراب بقيعة .

انها صور شعرية جميلة تدل على خصب خيال ، وعمق تفكير ، ورهافة احساس ، بل تدل على جمال ريشة شعرية زاهية .

ونكر كرة اخرى على نثر الشاعرة ، بعد ان كررنا على شعر الناثرة وناتي الى كلمتها (الانغلاق) حيث تبداها هكذا : ـ

« شعاع من ضوء الشمس ينفذ منسكبا خلال الزجاج ، ذرات الهباء تتراقص في مساره . تهبط وتعلو وتنطوي وتدور .. تسبح بانطلاق مرهف هادىء . احسها اقمارا صغيرة مشعة بنور خافت تتهادى في مجرة غامضة حالمة » .

وتقول : « وتتطاير ذرات هباء في مجرتنا البشرية . كل منا يهبط ويعلو ويتهادى ويدور في محيط منغلق ، حدوده اسوار لا تسمح له بالقفز

فوقها . وتظل محكومين بهذه الحدود كما ان ذرة الهباء المتطايرة في شعاع محكومة بمحيطها وحركتها ، محكومة بمسار لا تستطيع الفكاك منه . في هذا المحيط المنغلق انغلاقا جبريا لا يمكن ان تتلاشى . لا يمكن ان تتحد او تندمج .. كل منا يعيش داخل قلعته النفسية والروحية ويحجز داخلها حجزا ابديا . ولكنها قلعة لها شرفات واسعة رحبة في جميع جهاتها .. شرفات تمكننا من ان نتأمل ما حولنا بوضوح تام . [illegible]

وبعد هذه المباشرة تأتي كلمات مشفة اخرى وهكذا حتى تنتهي بطاقة كلمة (الانغلاق) بهذه العبارة : [illegible]

« وتبقى الذرات المنغلقة حشرات بحرية متعفنة في قواقعها . وانى لهذه الحشرات المتعفنة ان تتشرب ارواحها قدسية الضوء وعنفوان الربيع .. او نضرة الغصن ... ! » [illegible]

تلك صورة من نثر شاعرتنا الطالعة المتألقة في سماء الشعر والنثر ، وقصيدة « العصفور الاسود » تنم عن حزن دفين وهي ترمز الى الحزين بالعصفور الاسود المقيم داخل الضلوع والذي لا يفتأ يفتح ضلوعها نقيرا ، انها تقول في هذه القصيدة [illegible]

نم هادئا واسترخ ما بين الضلوع
نم لحظة
يا صاحب الريش المفتش بالدموع

وتقول بعد لأي :

اطو الجناح على الجناح يا جارحا وسط الجراح
المتعبون الصامتون تخدروا نفس النواح
الكل يفتش الكرى
واراك انت ـ كما عهدتك دائما ـ
متوجعا متضورا

وتقرأ القصيدة ، وتشعر بالروح الشعري ، والنغم الحزين يملأ جو القصيدة ، ولا تختلف عنها حزنا قصيدتها (يا رفيق الحزن) انها مملوءة بالمعاناة ، والغناء الحزين ، انها صور شعرية معبرة تعبيرا جيدا عن صور النفس البشرية الشاعرة ، والنفس البشرية الشاعرة هي التي تحس بمآسي الحياة وبأحزانها ، وتتألم لمفارقاتها .

الا يا شاعر الاشجان والنصب
لم الاشواق تبلعنا لم الانواء تخنقنا ؟
ونعنها وتلعننا وتحرقنا كما اللهب
لم الاظفار والانياب تمضغنا ؟

لم الازمان تلفظنا بلا سبب
وتتركنـــا بظلمتهـــا ، بعتمتهـــا
دموعـــا ثرة حيرى ، على هـــدب

صور حزينة في شعر حزين ، لكن لا يكفي ان يكتفي القارىء بهذه القتـــف التي نلتقطها من هنا وهناك ، اذ لا بد من العودة الى هـــذه القصائد والكلمـــات لندرك مدى شاعرية شاعرتنا ، ومدى قدرتهـــا على التصوير في كلماتها المضيئة المعبرة سواء انت شعرا او نثرا .

ولعل قصيدتها (زمن الرعب) تكمل صور الحزن العميقة في نفس شاعرتنا المرهفة ، وفي شاعريتها الممتازة القوية .

وهناك قطع شعرية لا بد من الاشارة اليها ولو بشكل عابر ، فهـــذه الكلمـــة ليســـت دراسة عن الشاعرة الناثرة بقدر ما هي خاطرة عـــن هذه الشاعرة التي تطل علينا بقلمها السيال ، وريشتها الملونة ، وانغامها الحلوة ، ومقدرتها على التعبير عن افكارها ومعاناتها تعبيرا شعريا ونثريا وهي في شعرها محلقة مبدعة حالمة ، وفي نثرها كاتبة متميزة هائمة ، ونادرا ما وجدنا مثل هذه الميزات الشعرية النثرية في شاعر واحد ، فما بالك في شاعرة ناثرة ناشئة ، فقـــد بلغت شاوا عاليا في شعرها ونثرها وهي ما زالت برعمـــا متفتحا ، لكنـــه برعم ينشر اريجا عاطرا ، وشذا يفوح عبيره ، وهي تشق طريقها صاعدة . انها نجمة متلألئة في ســـماء الشعر والادب .

من قطعها الشعرية الممتازة ، قطعتها (المنتاء) و (ثمارنا مخنوقة) و (باقية عيناك) و (وجهان فوق ارجوحة ساهمة) و (حريتنا وعبوديتنا في الميزان) و (غربتي واشلاء عالم) وقصيدة (وجه) . . ولعل هنـــاك قطعا اخرى فاتني ذكرها ، او لم اطلع عليها بعد .

انها شاعرة كاتبة ، لبست ثوبها الخاص ، وواجهـــت المجتمـــع بشجاعة وصدق .

ان نجمة عبد الله ادريس ما زال قلمها يرســـم حروفـــه الاولى على سطور نهمة ويشـــق طريقـــه صعدا نحو العلا ونحو المجد ، وحتى الان فقد قدمت دراسات ممتازة ، منها مثلا دراسة بعنوان (نزار قباني . . ذلك الصوت الغريب) ، وهي دراسة نشرت باسمها المستعار (موناليزا) وفي هذه الدراسة ، معاني وتعابير ادبية جيدة تدل على اطلاع واسع في الثقافة والادب وتدل على تعمق في البحث .

ولها رد على مقال الاستاذ عبد الرزاق الشعير حول (وحدة الادب العربي) نشر بمجلة البيان ، وفي هذا الرد اربع نقاط يحسن الاشارة اليها

وهـــي :

اولا : يقول الاستاذ عبد الرزاق البصير « ان اللغة والتاريخ ركنان اساسيان يعتمد عليهما الادب كل الاعتماد » ، وهي تتساءل ـــ « هـــل الادب فقط هو الذي يعتمد على اللغة ؟ » . وعندما يقول الاستاذ البصير « ان التاريخ ركن اساسي يعتمد عليه الادب » تقول هي«انما التاريخ هو الذي يعتمد على الادب » .

ثانيا : يقول الاستاذ البصير مـــا اظن احـــدا يستطيـــع ان يقول بوجـــود لغـــات عربيـــة ، او تواريـــخ عربيـــة وانمـــا هـــو تاريخ عربي واحـــد ، ولغـــة عربيـــة واحـــدة » . وهي تقـــول : « نعم ما احد يستطيع ان يقول خلاف ذلك فتلك حقيقـــة واقعـــة ، وبعيدة كـــل البعد عن الاحكام العاطفية المرتجلة ، لكن السؤال هو حـــول (وحـــدة التاريخ العربي) كشيء جزئي مفصول ، فالشعور القومـــي الموحد بين الاقطار العربية موجود ومتحقق بفضـــل توفر الركائز القومية العربيـــة وهي ، وحدة اللغة والعرق والدين ووحدة الارض ثم تأتي وحدة التاريخ نتيجة حتمية لازمة المقومات السابقة » .

ثالثا : « التفوق في بعض جوانب الحياة وبين السيطرة وبسط النفوذ على امم اخرى » . حسب ما اشار اليه الاستاذ البصير ، فهي تقـــول في هذه النقطة : « اذا كان المقصود النفوذ الفكري والثقافي ، فذلك يـــؤدي الى اثراء العقـــل البشري وتنوع التجربة الانسانية وامدادها بعناصر الخصب والغنى ، اما اذا صاحب النفوذ الثقافي والعلمي نفوذ عسكري في هـــذه الحالة يحق لنا استخدام التعبيرات ، مثل (انحلال الامة وانحطاطها) او (لقمة سائغة) او (غالبة ومغلوبة) .

رابعا : « وحدة الادب العربي » . وهي تود لو ان الاستاذ البصير عرف وحدة الادب العربي تعريفا دقيقا ، وتتساءل : ـــ

« هل المقصود الادب الذي يلتزم بقضايا معينة تهم الامة ، ام المقصود تقارب وجهات النظر والافكار والموضوعات ، ام المقصود الربط بين الانتاج الادبي وبين توحد الرقعة الجغرافية ؟ » وتقول « ان الوحدة في الادب تعني وحدة اللغة ووحدة البقعة التي يصدر منها ذلك الانتاج ، واذا كانت هناك وحدة ثالثة فهي وحدة الاصل والعرق التي تربط بين ابناء امة من الامم ، اذن فلا داعي لفصـــل الادب ووضعه على مشرحة البحث ما دام جزء لا يتجزأ من التكوين الفكري والنفسي للانسان العربي » .

تلك هي النقاط الاربع التي احببت الاشارة اليها في رد شاعرتنا الكاتبة نجمة عبد الله ادريس على الاستاذ عبد الرزاق البصير ؛ وعلى الذين يودون الاطلاع على مقال الاستاذ عبد الرزاق البصير ورد الشاعرة الكاتبة عليه ؛ فليرجعوا الى مجلة البيان العدد رقم ١٢٤ والعدد رقم ١٢٦ ؛ فذاك فيه المقال وهذا فيه الرد عليه .

أما بعد ، فان نجمة عبد الله ادريس شاعرة كاتبة ؛ وهي في شعرها وفي نثرها تتميز بالعمق ، وبسعة الافق ، وبعمق الخيال والفكر ، وتتميز بالاسلوب الشعري والصور الجميلة والرؤى المجنحة ؛ وتتميز بالدقة والبحث والاستقراء ؛ ونحن سعداء وفخورون ان تطلع علينا نجمة عبد الله ادريس ؛ نجمة متلألئة في سماء الشعر والادب .

عبد الله زكريا الانصاري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



شعر: سالم عباس خدادة

يا حبيبي يا رسول الله

هذه نبضات قلب خنقه الليل في وضح النهار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يا حبيبي يا من يحبك لحني ... لك مني شوقي وحبي وحزني

اشرق الكون عندما كنت يوما ... تبعث النور في دجى كل عين

وسقيت الارواح كاسا فكانت ... كاس مجد وعزة لا تدن

يا حبيبي يا باعث النور فينا ... الف آه تمزق اليوم اذني

وقف الليل شاهرا كل سيف ... يقتل النور اينما حل مني

يا حبيبي قد حطم الزيف كاسي ... والليالي قد طوقت كل شاني

وذوو النـــور بعضهـــم مـــار ليـــلا وارى البعض ميتـــا دون دفـــــن

لست ادري لاي شـــيء اغنـــــي العيـــد والدمـــع بغـــرق جفنـــي

كلمـــا شـــع نـــير نحـــو افقـــي خنـــق الليـــل ومضـــه يـــا لحزني

اي غـــال وكل شمـــس بقبـــر اي سعـــد وكل نجـــم بســـجـــن

يـــا حبيبي ضـــاعت قوافـــل قومي مذ اناخـــوا بـــين الهـــوى والتمنـــي

يشرب الراع بعضهـــم نخب عـــار ويبيـــع الباقـــون بنتـــي وابنـــي

يـــا حبيبي ابكي الضيـــاع لفكـــر يشـــرب السـم ويرتضـــي كل غبـــن

يعبـــد الـــذل ، يمتطـــي كل حـــق ويـــرى الحب عنـــد مـــن شق بطني

يـــا حبيبـــي يا نبع مجدي وعـــزي اين مجدي وعـــزتي ؟ اين حصنـــي ؟

ضـــاق دربي مـــا بـــين حيف وسيف كيف امشي والمـــوت في كل ركـــن ؟

ان روحي في الدرب طارت شعاعـــا ويقيني مـــا عـــاد يغلب ظنـــي

طال ليلـــي اراقب الافـــق شوقـــا لضيـــاء يغتـــال هـــذا التجنـــي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

النزعة القصصية في شعر خالد الفرج..

قراءة لقصيدة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم: د. سليمان الشطي

١ ــ مقدمة ونماذج

ها هي الطبعة الثانية من كتاب الاستاذ الباحث خالد سعود الزيد عن خالد الفرج ، وقد حملت جديدا حينما ضمنها تلك القصة الفريدة « منيرة » ،والتي نشرها الفرج في اواخر العشرينات وكادت تندثر لولا هذا البحث الجديد . وقد اكد خالد سعود الزيد انه رغم غبار التاريخ المتراكم ، فانه لا يزال ثمة باحثون يحملون على كاهلهم شروط البحث، ويستنشقون نكد المعاناة ليرسموا بسمتهم التي لا تكون الا حين يخطون حرفا نيرا او يجلون حقيقة ردمت معالمها ، او ينيرون مجاهل لفها النسيان،

وهكذا كان ، فامتد تاريـــخ المحاولات القصصية الى زمن مبكر يعود الى اواخر العشرينات .

ان هذه القصة قد نبهتنا الى تلك النزعة القصصية الاصيلة عند خالد الفرج والتي تجلت مظاهرها في عدة محاولات [illegible] في تصيدته الطويلة ملحمة احسن القصص ، وفي عدد من قصائده التـــي ضمها ديوانه .

هي اذن نزعة اصيلة وظفها توظيفا حيا ليسجل من خلالها همومه الوطنية والقومية واجدا فيها وسيلة تثرى تجاربه المختلفة ، وقد تعددت انماط السرد القصصي وتنوعت عنده فجاءت في ثوب مختلفة ، فنجده حينا يتكيء عليـــه في دخوله للسخرية كما نلاحظ في قصيدته عن (اللاشيء) وليس هذا العنوان الا تمويها وتغريرا في هذه السخرية والتهكم ، فنراه يدخـــل عليـــك هذا الدخول [illegible]

حـــار في اللاشيء قـــوم ... بين جـــاز ام كنايـــة ؟

قـــال بعض انه لا شـــيء مثـــل اللانهايـــة

قلت كـــلا انـــه شـــيء لـــه عـــدة كفايـــة

هذا الدخول هو الذي يثير التساؤلات ، ثم تاتي بعد ذلك الابيات التي عدنها قال :

انـــه (جامعة) العـــرب ... وابطـــال الروايـــة

انـــه (عـــزام باشـــا) ... ثـــم اســـم وبنايـــة

ثـــم لا شـــيء ســـوى ... ذلك اهدافـــا وغايـــة

ومع ان هذه عبارة عن مقطعة صغيرة ، إمكاناتها متواضعة ، فان استغلال روح القصص كشفت لنا ميل هذا الكاتب ونزعته المتميزة ، ولعله في وضعه عنوانا للجامعة العربية ـــ (اللاشيء) ، والتدرج في الكشف قطعة قطعة ، كل هذا يعني اشياء مفيدة ، ولعل ذروة التهكم هي هذه المفارقة بين اللاشيء والجامعة العربية التي جاءت لتصنـــع من الامـــة شيئا فاذا هي اللاشيء نفسه .

ويتجلى حسه القصصي في تلك النزعة التشخيصية كما نلاحظها

في قصيدته المهاتما غاندي ، وفيها يقدم صورة لهذه الشخصية وكأنه يرسم شخصية قصصية :

قطفة من نسيج قطن خام ... خشن حول هيكل من عظام
ثم رأس ، رأس « السبرمان » ... موجوداً كما صوروه في الاوهام
انف قد اعارها الفيل اياه ... وانف من الاتوف الضخام
وعيون كمن خلف زجاج ... نافذات ولا تفوذ السهام

فمدخل هذه القصيدة عبارة عن رسم لشخصية ، يستقصي ملامحها تمهيدا لوضعها في حدث مع ان نظام القصيدة العام يسير على النظام المألوف المعروف .

ومثل هذا ما نلاحظه في قصيدة عن الشيوعي عند المستعمرين ، حيث رسم صورة هذا الشيوعي متهكما ، وهو مثل القصيدة السابقة ، يقدم لنا المرادف التخيلي للصورة التي اراد المستعمرون انذاك اشاعتها في اذهان الدول المستعمرة . فهذا الشيوعي له وجه عريض طويل وانف عظيم واذان فيل وفم كالكهف غرزت فيه انياب غول ، فهو شيطان في شكل مريع ، وليست هذه الصورة الا تشويها لحقيقة الامر ، الذي هو :

أن من يطلب حقا ... واضحا فهو شيوعي

ان هذه الصورة المتهكمة معناها واضح ، حتى لو استغنى الشاعر عن اخر بيتين منها لدلالتهما المباشرة عن تلك الصورة الساخرة ، ولكن الذي دفعه الى هذا انجذابه الى قضيته السياسية ، والتي كتب هذه القصيدة لتكون سلاحا مرفوعا لا بد من ان يظهر لمعانه ، فقد لمس معاناة الاحرار الذين شوهت افكارهم لانهم يطلبون حقا ، فاختار هذه الصورة ، وقد تكون عودته من الايحاء الى التصريح انما تمثل عودة الى طبيعة القصيدة العربية السائدة انذاك والى نمط قصيدة التعبير عن موقف اجتماعي معين .

وهذا المزج بين طبيعة القصة والقصيدة ، وعزمه على النغمتين نلاحظه كذلك في قصيدته الاخرى التي صور فيها جموع المتصارعين على الماء ، والتي يعرض فيها تلك اللقطة الاجتماعية المؤلمة ، دون ان يتخلى عن سخريته وتهكمه المتخفي بين السطور ، ثم ينفذ بعد ذلك الى غرضه

الاصلاحي الذي يهدف اليه ، فالقصيدة كتبت لغرض اجتماعي ولتصوير المعاناة التي عاشها الكويتيون في سبيل الماء ، فاذا كان اول مقومات الحياة هو الماء فكيف يمكن ان تكون الحياة على ارض تفتقده .

ويحس الفنان الذي يحسن التقاط الزاوية الفنيـــة ، وبادراك الانسـان الذي يعيش الاخرين ، التقط هذه الزاوية ليصب من خلالهـــا تجربته ، ونحن هنا لا نستطيع القول بان النزعة القصصية هي وحدها البارزة في هذه القصيدة ، فهي احدى وسائله الفنية حيث كان يمـــزج على وترين ، احدهما نظام القصيدة العربية المعروف ، والاخر هـــو الاسلوب القصصي الذي يستغله لاقامـــة التصور المناسب في ذهن المتلقي وهذا ما نلمسه في بعض مواطن من القصيدة ، وابرزها مدخل القصيدة ومرحلة التزاحم للحصول على الماء .

ففي مدخل القصيدة يعتمد على اقامة التصور في الذهن ، وهـــذا التصور لن يكون الا اذا نقـــل القارىء معه الى داخل الصورة التـــي يريد ان يقدمها مقدمة باطارها الموضح لكـــل الجوانب ، لذلك نراه يقول اولا : ـــ

تصور فدفدا لا شيء فيـــــه سوى رمل به وطا السباع
ولا مـــاء لـــدى الرمضاء الا عليه الرمل ناف بالف باع
ولا شجـــر لدى الصحراء الا هشيم جاء من اقصى البقاع

الشـاعر يعرف ان هذا القارىء المتلقي اذا لم يدرك جوانب هذه المشكلة الفريدة لا يستطيع الدخول معه في موضوعه ، لذلك يسـعى لاقامة هذا التصور الاولي ، فيرسم هـــذه المدينة : فدفد (الفـــلاة ، الارض المستوية لا شيء فيها) ، وليس فيه الا الرمل واثار سباع ، ولن تجـــد المـــاء ـــ ان وجدت ـــ الا وعليه رمل بالف باع .

فاذا اشـاع في نفســك هذه الصورة ، وايقن انك قد دخلت معه في بؤرة تصوره ، قال لك : « فذاك هو الكويت » .

ان المتامل في هذا المدخل ، يشـعر ولا شك بأن كاتب هذه القصـيدة ذو ميل قصصي ينازعه ، ويمكن القول انه موضوعه ، او زوايـــا الالتقاط الفني عنده تنحى نحو هذا المنحى .

وليس هذا في المدخل فقط ، ففي صلب القصيدة وعند ذروتها ، نجده يحسن الاستفادة من هذا الجانب في تصوير التزاحم ذاته ، حين

يصور لك الناس المتزاحمين على الماء ، وهم من طوائف شتى وانماط واجناس مختلفة ، انـــه يختار لقطات من هذا الجمع المحتشد على هذا « البويم » : فهذا وغد يسابب صاحب الامر المطاع ، وتلك حـــرة غرقت الخ .

والنتيجة بعد ذلك محزنة ، فالماء الذي هو حق للجميع ، اصبح فقط لهذا البطل المصارع وسقط الضعيف ظامئا .

ان هذه اللقطات السريعة الملامسة لشكل القصيدة القصصية يمكن ايجاد نظائر لها عند شاعر غير معني بهذه النزعة ، ولكن الذي يميز خالد الفرج هـــو ثباتها في اتجاهه ، فهي ليست محاولات يتيمه ، ولكنها اصيلة واضحة ، يؤكدها استمرارها وتنوعها ، بـــل ووضوحها وسطوعها في محاولات اخرى ، ولعل ابرزها هذه القصيدة التي سنقف عندها لنفصل القـــول قليلا .

٢ ــ قصة مبتورة :

القصيدة التي شدتنا للتوقف عندها يحدها عنوانان ، هما : الشاعر او قصة مبتورة ، ومع ان الربط بين الشاعر والقصة المبتورة يغري بالتوقف ، ولكن دعنا ننظر اولا الى داخل القصيدة ــ القصة ، لنرى كيف سارت احداثها واندمج البناء القصصي بنظام القصيدة . جاءت هذه القصيدة في اربعة مقاطع هي : ــ

١ ــ مقدمة تثير وتفة وتشد وتضع علامات استفهام .
٢ ــ ثلاث وجهات نظر متسائلة مفسرة .
٣ ــ راعي يحمل نهاية القصة .
٤ ــ ثم ختام القصة

والناظر في بناء القصيدة يجد فيها من سلامة التركيب القصصي ما يثير الاعجاب والاحترام ، ولننظر الان من الزوايا التي ذكرنا لنرى ، يقول المقطع الاول : ــ

قـــال هذا ثم ولى غاضبـــا	ليس يدري اي صوب يقصد
وجهه اشبه بالرمل سفـــت	فوقه عبـــوس اجمـــــد
تـــارة يهـــرع في مشيتـــه	وتـــــراه تـــارة يتئـــد
يقصد الغابة ؟ لا النهر ، لا	تـــارة يمشي واخرى يقعد
يحصب الجو بما فـــي يـــده	ويكاد الفم منـــه يزبـــــد

ان هذا المقطع ينبهنا الى وعي الكاتب الحديث باسلوب القصة في الشعر ، كما هو واضح من تجربة القطع والتعويض عن طريق ذهن القارىء ، ونلحظ احساسه بجدوى الايحاء المكثف ، فالقصيدة تبدا من نقطة الختام ، ختام القول اولا كما هو واضح في المقدمة : (. . . قال هذا ثم ولى غاضبا) .

وهذا الدخول المتميز يؤكد لنا هذا الوعي ، فالقصة ليس خبرا يروى او حكاية تحكى ولكنها اسلوب فني يلجأ اليه الفنان لانه الاسلوب الامثل حيث يحسن من خلاله تجسيد التجربة الفنية وتعميق الاثر الذي ينشده .

وعندما نطيل نظرتنا في هذا المقطع ايضا نلمس الى اي حد استغرق هذا التناول تجربة الشاعر ، فدخل في نطاق الوصف القصصي للشخصية التي تناولها وقد استهل الابيات الخمسية بالغاء القول السابق لها مع الاحساس به والاشارة اليه وابراز اثره الذي وضح في الانفعال الباقي المجسد في حركات الشخصية كما نلاحظ في التقسيم التالي :

١ ــ الصورة والانفعال : (قال هذا ثم ولى غاضبا)

٢ ــ انفعال وحركة (ليس يدري اي صوب يقصد)

٣ ــ صورة الانفعال او تجسيده من خلال صورة :

(وجهه اشبه بالرمل سفت فوقه الريح عبوس اجمد)

والذي نلاحظه ان هذا الانفعال مزيج من الوصف الشعري والاحاطة القصصية في جزئيات الاشياء ونفاذ الانفعال اليها . وهذه الصورة يمكن ان يتصورها جيدا من راي الرمل والريح حين يتداخلان فتحس بالريح تتجسد رملا ، والرمل يصبح ريحا في الصحراء ، ويصبح وجه الارض خطوطا واشكالا تتموج ، وهذا قمة التداخل الحي بين الوصف الشعري الدقيق والتعبير القصصي المحيط بالجزئيات .

٤ ــ الحركة ونوعيتها ودلالاتها :

تارة يهرع في مشيته وتراه تارة يقتعد

لقد تجاوز الوصف الجامد الى التعبير من خلال الحركة ، وهذه المراوحة بين حركتين انهما هي مؤشر يشير الى الداخل ، هي تجسيد لانفعال مكبوت يدب دبيبه الى القدمين فالانفعال لا يظهر للرائي الا من خلال امثال هذه الحركة التي يكشف مداها البيت التالي .

٥ ـــ مظاهر القلق والاضطراب :

(يحصب الجو بما فـــي يده ويكـــاد الفم منه يزيـــد)

تلي هذه الجزئية بكمل السابق ؛ وتختفي الصورة من امامنا وقد خلفـــت بقاياها واخر ما لاحظناه هذا الغاضب المولي الذي نجهل امره، وبقيـــت امام نواظرنا انفعالاته المجسدة امامنا ... ان هذه الابيات الاولى تقدم لنا استغراق خالد الفرج في هذه التجربة الفنية المتميزة . ونلاحظ الليونة والاسترسال الظاهرين في الابيات والتماسك بين الاجزاء والاثار الباقية في النفس واسئلة تبحث عن اجوبة .

ولكن هذا التميز لن يصرفنا عن احساسنا بضعف بعض المواطن حين يتمثل في القدرة على توفيـــق الطبيعتين القصصية والشعرية . فاعسر واضطر الى بعض الحشو ، ونلاحظ هذا في البيت الثاني (عبوس أجعد) ، مع ان هذه توضيح ، فان اتحدارها مما سبقها لا تفيد شيئا .

ومثل هذا قوله « تارة يمشي واخرى يقعد » فالمشي استدعى عنده القعود . وعندما نتامل هذه الشطرة من البيت ونجسد صورته في الاذهان ، نجدها اقرب الى التهكم والسخرية والتندر منها الى تصوير الحيرة التي جسدتها الشطرة الاولى . ولعل طبيعة النزعة التهكمية عنده غلبت عليـــه ، ومن هذا اخذ القلق والاضطراب في البيت الخامس والسادس .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نظرت [illegible] لاثراء تجربته الشعرية فاخذت [illegible] والحوار وتطلع بك [illegible] لكل وجهات النظر الاخرى ، وهو كذلك فانه يحترم استقلال مادته ، ويدك [illegible] تدخل معه في التجربة لتكون جزءا منها بعاطفتك وخيالك .

لذلك يقفل ستار هذا المقطع ويفتحه على ثلاث فتيات يتحدثن بملك عن هذا الشخص الذي ولي وخلف بعده التساؤل .

تبدا الاولى ـــ وهي الكبرى ـــ فتتساءل اولا ثم تضيف اشيـــاء جديدة وهي تقترب قليلا منـــه تبدا فتقول : لماذا لا يبدي ما به ؟ ثم تضع اولى الاشارات الموضحة : انـــه جميـــل ولكن سلوكه غير محمود .

وهو حيي ، ويحمل الكلام على غـــير محمله ؟

اذا : هو لا شـــك محب انما قلبه عـــن جسمه مبتعد

وتاتي الثانية ، وهي الصغرى ، والتي تخرج من نظرة البعـــد الى نقطة اقرب ، وتحكي لنا جانبا مباشرا ، بل تقدم تجربة عاشتها معه ، وقد التقطت اخر خيط قدمتـــه الاولى فاكملت مؤكدة ان الحب فيه مائل، واضافت انه ذو كبرياء وعليـــه كمد ، واكدت حياءه ، بل اقتربت اكثر حين لامست يداها يده المرتعدة ، فنطقت عيناه بالحب وانعقد اللسان، واوغلت حين تشعب الحديث عندها فكشف اطرافا جديدة ، فعزة نفسه ونبله العتيق ومحتدة يقابلها في جانب اخر جهل من عايشهم ، فالقضية اذا ازدادت بعدا جديدا ، هو البعد الاجتماعي ، فالجهل والتقول جزء بل سبب لمعاناته .

ولا يخفي علينا ان هذا النموذج ـــ الشاعر المحب ـــ هو الصدر المعاني في مجتمعه ولعل خالد الفرج ـــ الذي عاش هذا الجانب العاطفي الفكري ـــ كان يجمع في هذه الشخصية معاناة جيله كله ، حيث المواجهات العاطفية والفكرية والاجتماعية والسياسية وهكذا تتنامى الاحداث ، فلا نصل الى الثالثة الا والصورة قد بدات تتضح شيئـــا فشيئا ، حين تقدم تجربتها الخاصة جدا معه فتصرح بحبها له ، وتتغزل بجمال جســـده الذي غطى بثوب رثة ، وموجهه القمري وانشاده الاتي من وادي عبقر ، فاذا الشـعر سورة حب وقلبها مسجد ، وهو ينادي باسمها : (ليلى ، اين منك الموعد ؟) ، وحين تلبي الدعوة فاتحة الصدر يشيح بوجهه ضائقا بها ، فليســـت هي ليلاه ، ويمضي الى الغابة .

ها هي الحلقات تتكامل والصورة تاخذ لمساتها المكملة ، فهـــذا الذي جمع خصالا عديدة تجده رث الثياب ، دلالة العوز ، وهو فنـــان جمع من جوانـــب الفن الشعر والانشاد وهو جماع الحيرة والحسرة والحرمان ، يصرخ باحثا عن ليلى . ولكن اية ليلى ، ليست ليلى المراة، ولكن ليلى الدلالة والرمز ، لعلها الحلم والامل ، لعلها الحرية والسعادة. ليلى هذا الاسم الذي اتسع فتجاوز مسماه في المراة الى ابعاد والى دخول في الاغوار العميقة ، وعندمـــا تستحضر العصر والظرف الذي كتبت فيه هذه القصيدة القصة ونتمثل الاحلام التي عاشها الفرج حياته سرابا لا يطال وامالا مجهضة وضربات قاسية ، كل هذه وغيرها كثير ، يصبح التساؤل عن ابعاد ليلى هذه مشروع بك مطلوب .

وعند هذه النقطة يلتقي الاول بالاخر ، فتتكرر القصة منحنية على اولها ، حينئذ نتذكر البداية ... (قال هذا ثم ولى غاضبا) وتظهـــر الاجابة الخافية على الاسئلة الاولى : ـــ (يقصد الغابة ؟ لا ، النهر لا ،)

ويأتي هنا القول (ومضى يعدو الى الغاية) ، حيث الغموض والضياع والانتهاء وينتهي هذا المقطع وتخفت الاسئلة .

ويأتي الختام المزدوج ، فها هو الراعي يحمل رزمة الورق ــ حصاد العمر ــ مخبرا بموتـــه ويقدم ديوان الشاعر الذي تركه مصدرا باهداء «.. الى ليلى التي اسعدتـــه لو شقي بسعد » مشيرا الى قسوتـــه وهفوتـــه .

وبهذا يسدل الستار الاخير على هذه القصة بهذه النهاية المحزنة ولا شـــك ان هذه تجربة متميزة ، لامس فيها خالد الفرج عصره بهـــذا الفن القصصي ، وادرك اهمية هذه النزعة او الاتجاه داخل اطـــار القصيدة الشعرية .

ترى ماذا يريد ان يقول خالد الفرج في هذه القصيدة القصة ، واين البتر فيها حينمـــا اسماها قصة مبتورة ، وماذا عن هذا الشاعر العاشق، لا شك ان الاحتمالات كثيرة والاجوبة قد تتعدد بتعدد نوعية القرار ، وموطن الرؤية اليها ، وهذا امر طبيعي بالنسبة لعمل متميز لا يسلم لك نفسه بسهولة ويسر ، فهو دائمـــا على المشارف بين الوضوح والابهام، التعبير المباشر وسط الايحاء المشع ، كل زاوية مقبولة ما دامت تنطلق من ارضية الفن المشروعة ، فخالد الفرج ادرك هذا الجانـــب وعايشـــه كأحسن ما تكون المعايشة .

ولكن الذي يهمنا ونحن في ختام هذه المرحلة ان نشير وننبه الى امور منها هذا الختام المحزن الذي ختمت به هذه المقطوعة ، وليس هذا بمستغرب على مثقف يعايش عصره انذاك ، فالنزعة الرومنسية السائدة كان هذا الخط نموذجها المتميز ، حيث ذلك الشخص الرقيق الجميل الحساس المتذوق للجمال ، والذي غالبا ما يكون فنانا شاعرا حزينا نحيلا تختم حياتـــه العاطفية بمثل هذه العواطف الجارفة ، انه النمط الذي جسدتـــه تلك الشخصية الرومنسية المشهورة الام فرتر ، بل دعنا هنا نستحضر المنفلوطي وكتبه من مثل « الشاعر » و « مجدولين » . لتتضح الصورة .

ويهمني هنا ان اشير الى ان قصة « منيرة » التي اشرت اليها من قبل هي ايضا تنتهي بهذه النهاية الفاجعة ، فهي تعيش الجو نفســه ، غابة وغموض وسحر ثم نهاية فاجعة حيث الانتحار . الربـــط اذا جائز بل مطلوب بين هذه القصة والجو العام السائد .

وامر اخر مهم تحسن الاشارة اليه هو الربط بين هذا الميل وذلـــك الجانب العريـــق في النفس العربية والمنحدر من ذلك الاتجاه القديـــم

الذي عرفناه عند عمر بن ابي ربيعة ، والذي لا بد من ان نتذكره ونحن نتدارس هذه القصة القصيرة ، مع اصالة الفرج في التناول والتحويرات والاضافات الواضحة والتي اشرنا اليها من قبل ، فانه لا شك كان يركن لهذا الجانب الموروث ركون وعي ومعاصرة .

من المفيد القول ان هناك تلاقيا شكليا بين هذه القصيدة وذلك الحوار الذي اداره عمر بن ابي ربيعة بين فتيات ثلاث ايضا ، مسجلا مواقفهن المختلفة يقول النموذج العمري :

بينما ينعتني ابصرني ... دون قيد الميل يعدو بي الاغر
قالت الكبرى اتعرفن الفتى ... قالت الوسطى :نعم هذا عمر
قالت الصغرى وقد تيمتها ... قد عرفناه وهل يخفي القمر

فهذه المراحل او الانماط الثلاثة للنفس تلامس مشارف قصيدة الفرج التي تجاوزت هذا النمط من الحوار الثلاثي الى القصة المتكاملة ، فقد كانت اشارات عمر بن ابي ربيعة لقطات فنية سريعة اعتمدت الحوار اكثر من النزعة القصصية ، اما الفرج فقد توغل اكثر منه تبعا لمعطيات النمو الحادث في عصره .

د.سليمان الشطي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

و ... يضيع البحر

شعر: أحمد فضل شبلول

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دعوا هوى ضيعة الاحباب مذ ليل طويـــــل
فاليوم خمر .. وغدا ...

• •

كم ضيعت ضربة موج جزرا
كم غيبت قطرة ماء سفنا
فاليوم خمر .. وغدا ليس ببحر
والموج في الكن وليس في الضح
والماء قد مسته نار القبح

ومثلما يعود حزن الثكل مختارا الى
قلبـــي ...
تعود قطرة الفنا الاولى الى شريان هذا البحـــر

● ●

انا الذي ضيعته
انا الذي غيمت هذا الفجر
انا الذي غربت هذي الشمس عـــن
شطي
ثم اقتنعت بالزيد
رضيت بالنار التي سجرتها
رضيت بالدخان والغيوم
وما عرفت ان بحرنا اضيء ساعـــة العـــدم
فانتبهت كل القبور
واخرجت ما فـــي بطونهـــا
وما عرفت ان موجنا يحج حجة عند اكتمال كل بدر في البحور
او ان حزننا يطوف حول قبة السماء
ساعة الافول
رضيت بالمساء لي جراحـــا
وما رضيت بالصباح موطنا مباحا
انا الذي ضيعته
انا الذي غيبته
فلا تعاندوا هوى ضيعه الاحباب بذ
ليل طويل
بل عاتبوا صبا اضاع درب حبه
فاصبح الخمر هو اليوم
واصبح اليوم هو الخمر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فلسفة القيمة

الدكتور عبد الفتاح الديدي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يسمى علم القيمة في الفلسفة باسم الاكسيولوجي . ولا تدرس الفلسفة القيم مستقلة في ذاتها او مجردة عن ملابساتها وانما تدرسها في اطار علم الاكسيولوجيا متصلة بالامرع الخاصة بها في علم الاخلاق وعلوم المنطق والاجتماع والجمال و في الاديان .

ونحن نعيش خلال هذه الفترة في مرحلة هامة من مراحل تحطيم المطلقات . فقد تحطم المطلق في الرياضيات نهائيا وغدونا نتحدث عن كل مفهوم في اطاره المحدود من الهندسة الاقليدية او الهندسة اللااقليدية او الهندسة الاولية او التحليلية او الاسقاطية وهكذا . وفي المنطق نتحدث عن التصورات العقلية حسب وضعها في المنطق المثالي والمنطق البراجماتيكي والمنطق الصوري والمنطق المادي والمنطق العضوي والمنطق الرياضي والمنطق الرمزي ومنطق العاطفة ومنطق التناقضات .

وفي الفن التشكيلي تحطم الشيء الخارجي الذي كان يفرض نفسه كقيمة مطلقة على اعمال المصور والمثال . وجاء الفن الحديث فتخلص من

الشيء وحطمه واستخدم اجزاءه كاشلاء مبعثرة او استبعده نهائيا من اجل احلال اشكال ابداعية خالصة كبديل عنه . وفي علم الجمال لم تعد فكرة السيمتريا او التناسب او التآلف ذات معنى مطلق يفرض نفسه في كل وقت وعلى اي نحو . وسعى الجمال للبحث عن مصادر جديدة للقيم الجمالية فاصبح يستمد الجمال من نقيضه ويستخرج الحسن من اشياء مضادة لما كان يطلق عليه اسم الجمال . وروز نكرانس (١٨١٩ ـ ١٨٩٨) هو صاحب فكرة ارتباط القبح بوضعه داخل العمل الفني لا من حيث هو قبح في ذاته . ولا يكون القبيح قبيحا لانه كذلك في الواقع ولكن من حيث انه يساء وضعه داخل العمل الفني . فاذا تم استغلاله داخل العمل اصبح ذا دلالة جمالية .

ولهذا اصبح الفنان يبحث عن الجماليات حيثما اتفق وحيثما ظهرت من داخل التكوين في اطار العمل بدون ارتباط بالمعاني التقليدية للجمال كالوسامة والنبل والطراوة والنعومة والرقة والاستطابة وغيرها .

وتحطمت قيم الجمال المطلق امام ظاهرة الاستملاح لما قد يبدو قبيحا في الواقع ولكنه يحلو اذا تضمنه العمل الفني .

وفي الاخلاق فقدت القيم هيبتها المطلقة وصارت مرتبطة بالاهداف العملية . وتحولت القيمة الى اتجاه او سلوك او الى حكم من احكام القيمة لتبرير الموقف الذاتي . وصار للسلوك ابعاد يقاس بها وصارت الاعتقادات تتخلى عن موضوع القيم المطلقة وتخلق قيما جديدة تتمشى مع الواقع سواء مع وجود الاعتقاد او في حالات عدم وجوده . والعقل نفسه تحطم كقيمة اولية بديهية في حياة الانسان واصبح اللاعقول والحدس والبصيرة والعيان الوجداني والرؤيا تعلو على ما كان للعقل فيما مضى من سلطان . وارتبطت القيمة بالرغبة المنشودة وتعرضت فوق ذلك لتحليلات وضعية تفسر وجه الضرورة في السلك الفعلي .

وتعرضت اشكال المجتمعات في الاونة الحاضرة لهزات عنيفة على الرغم من ان العلاقات الاجتماعية صارت اكثر تشابكا واكثر التزاما بالتمسك بالقيم الشخصية . وذلك لان القيم الشخصية ذاتها تواجه خطرا كبيرا . ويتوقف مستقبل المدنية على مدى ما نعمله حاليا من اجل صيانة هذه القيم ومن اجل الحفاظ عليها بالطريقة التي تضمن تمشيها مع سلوك الانسان .

وعبارة القيم الشخصية تتالف من لفظتين القيم من ناحية والشخصية من ناحية اخرى . ولندع القيم جانبا مؤقتا لنتناول كلمة الشخصية بالتحليل فنجد ان الشخصية لا تتبين كوصف لظاهرة انتماء شيء من الاشياء الى الشخص الا اذا اوضحنا تصورات ثلاثة . فلكي نفهم كيف يكون الشيء شخصيا يجب ان نعرف ما هي الفردية اولا .

والفردية ببساطة هي ما يبقى من كيان الشخص مع تغيره المستمر من آونة لاخرى . والتجربة هي غذاء النمو . ولذلك فكلما ازدادالشخص تغيرا ازداد كونـــه هو نفسه أو هـــو هو . فالشخص يصبح هو نفسه كلما توالت التغيرات على شخصه . وعندما لا يصبـــح هو نفسه لسبب او لاخر نعتقد في التو انه تعرض لنوع من الاختلال العقلي . وقد اصبحنا اليوم نلمس تغيرات جوهرية تصل الى حد تغيير النوع من ذكر الى انثى والعكس . وهذا يجعلنا نلمس ان هذا التغيير يصل احيانا الى المساس باساسيات الوجودالانساني . وعلى الرغم من ذلك اذا افتقد الشخص تواصل هويته وتعرضت هويته تلك لاي اضطراب اصبح موضوعا مـــن موضوعات المرض النفسي . وهكذا يمكن ان نتصور مدى التغير الذيصل اليه الشخص . واذا اصبح الشخص شخصا اخر لسبب او لاخر لم يعد فردا في مجتمع الاسوياء .

والشخص مسئول عما يفعل ويقول ومسئول ايضا عن هويتـــه . والحياة الشخصية ليست انعكاسية او ثانوية ولكنها شيء اصيل تماما . وسلوك الانسان السوي عقلي واخلاقي في آن معا لانه سلوك من يدرك معنى العقل والاخلاقومعنى ما يوصفبالعقلية والاخلاقية . واعتادالشخص السوي ان يرد سلوكه الى قيم تتجاوز الضغوط الاجتماعية . واذا تبنى اتجاهات ومواقف مجموعته التي يعايشها اجتماعيا فذلك لانه يقبـــل هذه المواقف والاتجاهات ويوافق عليها!

وليس من السهل ان يكون للشخص انماطـــه السلوكية الخاصة به في مجتمع يتغير بسرعة مذهلة . ومهما تكن عيوب الموقف العصري فهي تدع لنا على الاقل فرصة التمييز بين ما يمليه علينا ضميرنا وما يشيع في الجو الاجتماعي من شعارات . وهذه العيوب في الموقف العصري هي التي تفرض علينا الاختيار بين ما يمليه الضمير وما يشيع فيمناخ المجتمع . فليس كل ما هو ميسر في المجتمع مباح في نظر الضمير . ويدفعنا المجتمع المتغير الملىء بالصعوبات والتناقضات الى ان يواجه الفرد تحديا هاما وخلاقا يدعونا الى تدبر الامور والتفكير فيها .

وثانيا يلزمنا ايضا ان نفهم معنى الزمالة . اذ لا يملك الفرد القدرةعلى ان يعيش في فراغ . والشخصيـــة تتضمن مقاسمـــة الحيـــاة الذاتية مع الاشخاص الاخرين في احترام متبادل وفي تقدير لحرية الاخرين واحساس بكرامة ومسئولية الغير . ويتضمن كل معاش حقيقي بالمعنى الانساني معنى الالتقاء بالاخرين كما يتضمن معنى الاتصال والتواصل بين شخص واخر في احدى صور الزمالة او المعايشة او الارتباط . ويندر في المجتمعات الكبيرة ان يحدث تعارف شخصي بشكل وثيق كما تصعب معرفة كل شخصلسواه

من الاشخاص . والسياق الطبيعي الاصلي للنمو هو الاسرة .

واساس الاخلاق كما اشار اليه كانط (١٧٢٤ ــ ١٨٠٤) هو ان نعامل الاخرين كغايات في ذاتها وليس كوسيلة لتحقيق غاياتنا . وتدفعنا معاملة الاخرين كبشر الى استبعاد كل ما من شانه الاساءة الى الغير باستخدامهم لتحقيق مآرب ومكاسب ذاتية . ويختلف الاتصال على المستوى الشخصي تماما عن العلاقات على المستوى العريض من جموع الافراد . اذ يسهل في هذه الجماعات فقدان الكيان الذاتي وكيان الاخرين في آن معا . وهذا هو ما اعتادت الفلسفة الوجودية ان تسميه الوجود غير المشروع . وكلما ازدادت اواصر المحبة والتعلق بين شخص واخر ازداد وضوح الوجود الشخصي الخالص الذي لا يمكن تقاسمه ويتعذر املاكه . والحب والصداقة لا يستطيعان سوى ابراز هذه الحقيقة الذاتية التي لا تقبل تملك الغير وحيازته

واذا اراد الوالدان ان يسيطرا سيطرة كاملة على الابن او الابنة تعرضا لخطر كبير . وقد يضر ذلك ضررا بالغا بالابن او الابنة . وكذلك الحال بالنسبة الى الاستغلال الصناعي او بالنسبة الى كل صورة من صور الحرمان من التطور والنمو . والاسرة هي النظام الاول الذي يتعلم فيه الشخص ممارسة العلاقات الاجتماعية .

وثالثا يلزمنا ان نشير الى الوجود الجماهيري بالنسبة الى الشخص وهو ما نعرفه في شكل علاقة الفرد بالجماعات الانسانية . وهنا تبرز اهمية التجانس الاجتماعي بحيث تختفي الفروق الذوقية والاخلاقية وتتقارب الاهواء والمطالب وتتجمع المواقف والاتجاهات في شكل جماعة موحدة الثقافة ومتآلفة المشرب والميول والاهداف والرغبات

ويهدف التجانس بين الجماعات الى تخفيف اعباء الثقل الذاتي للشخصية . فالانسان الذي يظهر في مجتمع كبير كالسينما او المسرح او قاعات الاحتفال او غيرها لا يتعامل مع الاخرين كفرد . انه يفقد وحدته وبالتالي يذيب شخصيته في المجموع . والمجموع الادمي شيء اخر سوى الجماعة . انها اخطر ما يهز القيم الشخصية في عالم اليوم . ومن العبث اليوم تجاهل مدى تاثير هذه الجموع في ضغوطها الحشدية .

وقد اظهر علم النفس الاجتماعي الحديث في السنوات الاخيرة اننا الى حد كبير نمثل منتجات اجتماعية . وتتشكل اتجاهاتنا وفقا لاطارات المعاني التي نقبلها من البيئة الاجتماعية لا شعوريا . ونتاثر عادة اكثر مما نتصور بالانماط المخروطة الشائعة التي يتقبلها الاخرون عما هو جميل وممتع ومحبب ومقبول ومستحسن .

وهكذا توجد فرصة سانحة امام كل انسان ليضع نفسه في اطار من

اطر المواقف الشائعة الطريفة المحببة عند الجميع او المعارف السائدة المالوفة لدى الكل . ويمكن ان نخضع انفسنا لابشع انواع الحتمية السلوكية عن هذا الطريق . ولكن يمكن ايضا ان نقوي استقلالنا عن طريق احكام مستقلة وعن طريق ممارسة هذه الاحكام المستقلة . واعتقادنا بان المسئولية الفردية هي من طبعنا الصادق وطبيعتنا الحقيقية هو الذي يسمح لنا بعدم قبول صياغة حياتنا وتشكيلها وفقا للضغوط الاجتماعية .

وليس تأثير الجماعة بالضرورة مؤذيا للفرد . اذ لا يمكن ان يكون الشخص ذا هوية بدون هذه الجماعة وما ينشأ عن وجودها من علاقات اجتماعية . وهو بحاجة الى المجتمع الكبير والمجتمع الصغير في آن معا . الاول يوفر له الانتماء والثاني يوفر له الاحتكاك وتبادل المشاعر الانسانية والاهتمامات الوجدانية ، وهنا نقول ان الشخص فرد له هوية وحيدة . ويتضمن الكيان الشخصي مسئولية اخلاقية وعقلية . والشخص هو ما يصبح مميزا بمقارنته بالغير ويتسم بطابع خاص لهذه الهوية .

ونعود الان فنحدد المقصود بالقيم . وتشير قيم الانسان **وصفيا** الى مواقف الشخص مع او ضد اي شيء . وتشتمل قيمه على كل ما يفضله وما يتحاشاه وعلى كل الاشياء التي يرغبها والاشياء التي يرفضها وكل ما يهتمه وكل ما يؤلمه واهدافه ومثله واهتماماته وما ياخذه على انه صواب او خطأ وما يظنه خيرا او شرا ، جميلا او قبيحا ، مفيدا او ضارا ، وما يرضاه وما قد لا يرضاه ، ومعايير ذوقه وانماط حكمه .

وتشير قيم الانسان **معياريا** الى كل الاحكام التي يبنيها على تلك القيم . ففي كل اختيار واع يقوم به الفرد وفي كل فعل خلاق وكل نقد في مجال الاقتصاد او الاخلاق او الجمال تكمن احكام حول ما هو مرغوب ومفضل وكل ما هو مناسب او عملي وظيفي . وتحملنا فلسفة التقويم او التقييم الى كل مجالات الحياة الانسانية .. في النظرية السياسية حول استحقاقات الناس وقرارات الحرب او السلام والاهتمام بالزراعة او بالصناعة .. وفي فلسفة القانون تلعب القيم دورا في العمليات القضائية .. وفي النظرية الاقتصادية تتدخل القيم في تحديد المرتبات والاجور والاثمان .. وفي النظرية التربوية تشغل القيم مكانا ضخما عند تفضيل النظام الصارم او نمو الشخصية او الارشاد التربوي او الصحة العقلية او صالح الاسرة او الاهتمام بالمواهب والاستعدادات وما اليه .. وفي الاخلاق والجمال تتشكل القيم في صور متعددة . وفي المنطق ومناهج البحث تتمثل القيم في معايير يهتدي بها العقل في خطواته العلمية والاستدلالية .

والقيمة كما يقول بارسونز هي تقدير خاص في نسق من المعايير وتشير القيمة الى الدلالة الكبيرة او الصغيرة التي يعزوها الانسان الى

مواد متعلقة بانشطته الخاصة او تجاربه او حياته بشكل عام بحيث تصير بمثابة المرشد له في تصرفاته .

والقيمة في الوقت الحاضر هي قيمة الشيء . وقيمة الشيء هي ان يتحول الى مطلب اي ان يكون موضع رغبة . وتشير العلاقة القائمة بين الانسان والشيء على ان هذا الشيء قد صار موضع اهتمام ورغبة ذلك الانسان .

وعلى الرغم من كل ذلك فالانسان لا يزال يحرص على تحقيق القيم ولا يزال يعمل الكثير من اجلمثله العليا . فلا يعبأ بما يبدو ذا اهمية وانما بما ينبغي ان يكون موضع اهتمامه ولا يحرص على ما يحبه بقدر ما يحرص على ما ينبغي ان يكون موضع حبه . وهذا هو مجال القيمة في نظر جون ديوي . فالانسان يحاول الى جانب ذلك ان يتخلص من الذاتية وان يعطي القيم شكلا من اشكال الصدق لكي يحيلها الى حقيقة او لكي يعثر منخلالها على الحقيقة .

ولهذا فقد اتجه الفلاسفة المعاصرون اتجاها يقرن دائما بين الحقيقة والقيم في دراساتهم للاكسيولوجيا أو علم القيمة . واتجه المنطق منجانبه الى احكام الضوابط على افكار القيمة . وصار في الفلسفة اليوم ايضا تيار كامل في الميتافيزيقا يحرص على ان يستشف حجب الوجود من خلال القيم .

ويحتاج تعريفنا بهذا كله الى تمهيد اخر . فالفلسفة عندما تتجه الى دراسة مباشرة وتناول مباشر لمسائل عملية ذات اهمية مباشرة يصعب التحلل من الاجابة عليها سواء بطريقة واعية عندما نريد ان نقيم اختيارنا على اساس صالح او بطريقة غير واعية اذا شئنا ان نستبعد هذه الحاجة الباطنة . وذلك لان الاجابة تتمثل في النهاية في سلوك معين او في قرار معين مهما بقي الامر غامضا او واضحا في نفوسنا . وسواء اعتقدنا في الخير المطلق او لم نؤمن فان القيمة ستظل ذات فاعلية واضحة في اختلافمواقفنا وستبقى فعالة في كل اختيار نقوم به مهما كان اعتقادنا في الصواب اوالخطأ ومهما كانت نظرتنا العلمية الى اسباب التفضيل او الترجيح او الاهتمام او الحب او الميل من الناحية النفسية او من الناحية الاجتماعية او من الناحية الذوقيـــة .

صحيح ان معظم الناس لا يزعجون انفسهم بالتفكير في اتخاذ قرار بمعنى القرار . ونلاحظ ذلك حتى على من يقسمون حياتهم الى قسمين منفصلين .. جانب خاص من المجتمع يطبق الانسان فيـــه كل الاخلاقيات والجماليات والالهيات وما الى ذلك ، وجانب عام لا يطبق فيـــه اي مبـــدا بسبب الحاجات العملية والاعتقادات النظرية والغايات التي تبرر الوسيلة

والجانب الاول هو جانب الاسرة والاقارب والاصدقاء المقربين حيث يقوم الشخص بحماية وجوده وخلق سياج حول عالمه الخاص . والجانب الثاني او العام حيث يصارع من اجل النجاح والتفوق والكسب والاستزادة .

ويسبق ذلك الانقسام انقسام اخـــر يخلق في الشخص ازدواجية اصلية فيما بينه وبين نفسه . وتحدث هذه الازدواجية بين الشخص كانسان واع وبين الشخص ككائن عضوي . وحياة الوعي وحياة الكائن العضوي مع اجتماعهما اصلا في كيان واحد يصبحان تعددا ثنائيا اذا صح هذا التعبير باعتبار المثنى اول جمع عددي يلي المفرد . ويصعب الانسجام المطلق بينهما بحيث تنشأ عن ذلك ازدواجية في الوعي ذاتـــه . فالوعي الذاتي يبعث الاضطراب في براءة الاعضاء ويسمم هناءها ويفسد عليها سعادتها البريئة . ويقوم الوجود العضوي ايضا في مقابل ذلك باظلام حالة الوعي وانتقاله واجهاده بحيث يصبح هذا الوعي ذاته نصف وعي او يصبح ما نطلق عليه اسم حالة اسقياء الضمير . وبرغم ذلك لا يشعر الشخص الا بانه واحد وعندما يقـــول انا فهـــو لا يحس بادنى انقســـام في شخصه اللهم الا في الحالات المرضية .

والفلسفة الظاهرية هي التي اكتشفت دور الجسم في تحليل الوضع الفلسفي للوعي وتعمقت هذا المعنى الفلسفة الوجودية . وانبثق منهـــا تحليل البير كامو لدور الجسم على المسرح .

وعندما يقول الشخص انا ، لا يشعر ايضا الا بكيانه الموحد حتى في حالات سوء النية التي كشف سارتر عن اغوارهـــا في تحليله الوجودي بكتاب الوجود والعدم . فقد تضع الفتاة يدها في يد رفيقها وتدعه يداعبها وهي تحدثه عن الفرق بين لعبة الطاولة ولعبة الدومينو وتشرح له كيف انها هزمت افراد الاسرة في لعبة الدومينو . او كان تتحدث الزوجة مـــع زوجها عن مسؤوليات البيت واخطـــاء الاولاد ومشاكل الطهي كلما هـــم بملاطفتها بعد السهرة الهانئة .

ولا تكفي هذه الازدواجيـــة بين البـــدن والوعي التي يتحدث عنها جانكليفيتش في موضوع الشعور بالطهارة والنقاء والبراءة الاولية . وكذلك لا تكفي هذه الثنائية المتشابكة بين حسن النيـــة وسوء النيـــة في الوجود الانساني كما يعبر عنها سارتر في نظريته تلك فتضـــاف اليهما ازدواجية جديدة من الانقسام الى جانبين : جانب الحياة الاسرية والاقارب والصحاب وجانب الاخرين من حيث احترام القيم والمبادىء .

ويأخذ هذا الانشقاق الاخير صورة من نوع جديد لان بعض الناس يوافقون على الراي الشائع بان كل اخلاقيات انما تتحدد اجتماعيا ولكنهم

يتصرفون كما لو كانوا يؤمنون بما يشبه المطلق . ولا يلبث هذا الانقسام الجديد ان يولد توزعا وتعقيدا في كيان الشخصية المتكامل . وقد لا نكون عموما واعين للمشكلات الاخلاقية عندما نختار سلوكا معينا او نتخذ مسلكا بالذات . وكثيرا ما نرفض ان نشغل انفسنا بالتفسير الاخلاقي المنبعث من القيم او المبادىء الاخلاقية . ولكن هذه القيم والمبادىء ستفرض نفسها علينا عندما نواجه مواقف صعبة او قرارات تترتب عليها احداث معينة ويصبح من اللازم اللازب ان نعرف ما اذا كانت الاخلاق مجرد تحامل مغرض بعد ان كشفها العلم الحديث وجعلها اضافية بالنسبة الى الاعتبارات النفعية او بعد ان حددها بعض العقليين بوصفها مسائل يعتمد عليها في توجيهنا ونظروا اليها كمعاني قصوى تستحق منا الاستناد اليها في تصرفاتنا وعلى الفلسفة ان تكشف لنا لماذا يؤثر الانسان الالم على اللذة والموت على الحياة في بعض المواقف .

وعندما ننظر في تاريخ الفلسفة نكتشف حقيقة هامة وهي ان كل فلسفة ظهرت منذ بدأ تفسير الوجود في حكمة الصين والهند القديمة وحكمة المصريين القدماء وحضارة ما بين النهرين وعند اليونان منذ القرن الخامس قبل الميلاد لم تخل من نسق اخلاقي الى جانب نظريات ما وراء الطبيعة . بل لقد تناول جميع الحكماء والفلاسفة الكون والخير على مستوى واحد من التفكير جنبا الى جنب .

ولا شك ان افلاطون وارسطو يمثلان خطوة رائعة بل وجوهرية في مجتمع الفكر الفلسفي الاخلاقي . وافلاطون هو صاحب عالم المثل بكل ما فيه من مثل الحق والخير والجمال . وعرفت الفلسفة الافلاطونية في تاريخ الفكر باسم الواقعية الافلاطونية لانه اعتقد في وجود عالم المثل وجوديا عينيا واقعيا في مكان ما من الكون . وعندما نفعل خيرا فنحن نستوحي مثال الخير الابدي الازلي . ويبدو ان هذا الموقف الافلاطوني لا يزال قريبا مما يجري في الواقع وفي حياة الناس الى الان. ولاتزال بعض العبارات الاخلاقية الخالصة التي اشاد بها افلاطون صحيحة الى اليوم . وقد نذكر على الخصوص قوله انه من الافضل ان تعاني من الاخطاء ولا تخطىء او ان تعاني الظلم ولا تظلم . والخير قيمة عليا مطلقة وهو اعلى القيم وارفعها واساس كل شيء في الوجود .

وترتبط انكار ارسطو المنطقية بمنهجة في التفكير الاخلاقي . وهو يضع المبادىء الخلقية كوسط بين الافراط والتفريط . فالزيادة من الحد عيب اخلاقي والنكوص عن المطلوب عيب اخلاقي . والمبالغة والقصور حدان للمبدأ الطبيعي للسلوك . ولا يتحمس ارسطو للخير في ذاته ولايحدد

ما ينبغي ان يكون عليه الخير وانما يحوله الى وسيلة تصبح هي ذاتهـا معيارا عمليا نفعيا ونافعا .

وهيجل لا يرى للخير مكانا من حيث هو خير في الوجود الانساني . وسلم كانط بمبدأ روسو ان الخير المطلق في الحياة وفي الكون هو حريـة الارادة الانسانية عندما يحكمها احترام القانون الاخلاقي او الشعوربالواجب والفعل الاخلاقي هو الذي يؤديه الشخص احتراما للقانون الاخلاقي بدون نظر الى المنفعة العملية أو الى ارضاء الاخرين . وهذا القانون الاخلاقي كامن في العقل ذاته . وهو قبلي سابق على التجربة وداخل في صميمطبيعة التفكير الانساني . وهذا القانون الاخلاقي او الواجب الحتمي ينص على ان تتصرف كما لو كان المبدأ الذي تستهدي به قانونا كليا وبحيث تنشد ان يتبع كل شخص نفس المبدأ الذي تستهدي به في عملك . واعتقد كانط ان هذا المبدأ هو معيار اكيد لكل ما هو صحيح ولكل ما هو خطأ . ويندرج تحت هذا المبدأ مبدأ اخر ينص على ان تتصرف كأنك تعامل الانسانية باسرها سواء في شخصك او في ذات شخص اخر كما لو كان غاية في كل حالةوليس مجرد وسيلة . والمبدأ الاخلاقي في نظر كانط مفروس فطريا في العقل ذاته بحيث تصبح الاخلاق ذاتها هدفا اصليا بخلاف السعادة .

والقلق عند هيدجر اداة للمعرفة الاونطولوجية في حين ان القلق عند كيركجار يكشف فردانية الوجود الذاتي العميقة التي تجعله وجها لوجـه امام الله .. وابراهيم الخليل عليه السلام عندما واجه امر الله بذبح ابنه سيطر عليه القلق الذي يميزه من القصد الاجرامي . وهذا القلق الذييمر به امام مصيره الفرداني في علاقته بالله سبحانه وتعالى يرده الى السكون ويجعله وحده وبمفرده امام الله . وهو قلق الطيبين بخلاف قلق الخطيئـة الذي يجعل الانسان في وضع وجها لوجه مع الله وفي حقيقته الفرديةفيشعر بالايحاءات كلمحات بديهية واضحة بذاتها على الرغم من لا معقوليتها .

والمنطق من جانبه يدرس ظاهرة القيم في صـورة احكام للقيمة . وتعالج احكام القيمة مسائل موضوعيـة لها علاقة بالواقع ، ولا تتصـل بالصورية . ولهذا تلعب الجهة في الحكم اييوجه الضرورة والاحتمال في صورة الحكم دورا اساسيا في تشكيل هذه الاحكام اي القضايا بلغةالمنطق الحديث . وقد ظهر كتاب كامل في هذا الموضوع تحت عنوان منطق احكام القيمة سنة ١٩٢٧ لمؤلفه الاستاذ العالم المنطقي جو بلوه .

وتميز هذه الاحكام بعض احكام القيمة الموجبة مثل هذا حسن وهذا ردىء كما تميز الاحكام التفضيلية مثل هذا افضل او اسوا من ذاك . وهذه التفرقة هامة في المنطق لان الحكم الموجب متضمن سلفا في حكم التفضيل

لان المفاضلة تنبني على الاثبات او ضده كعملية منطقية خالصة .
والحكم التفضيلي يعادل ثلاثة احكام ـــ هذا حسن ـــ وذاك حسن ـــ ولكن هذا احسن .
ويدخل ايضا نوع من الاحكام يطلق عليه اسم حكم البديل بين احكام المفاضلة مثل هذا حسن وليس ذاك بسيء .

ولا يقل المنطق اهتماما عن سواه من افرع الفلسفة بموضوع الاختيار والتفضيل والاستحسان لانه يمثل الغطاء العقلي لعملية السلوك المبني على موقف والمحدد وفقا لقضايا عقلية ، فهو يشارك في تحديد الاتجاه في الموقف الذي يتخـــذه الانسان في سلوكه العملي .. ذلك الانسان الذي يتميز في موقفه دائما بجانب شعوري يختزن فيه السر الدفين الكامن في ثنايا تقديراته العامة الا وهو القيمـــة .

القاهرة ـــ دكتور عبد الفتاح الديدي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مراجـــع البحث :
١ ـــ بول سيزاري ـــ القيمة (فرنسي سنة ١٩٥٧)
٢ ـــ ادموند جويلوه ـــ منطق احكام القيمة (فرنسي سنة ١٩٢٧)
٣ ـــ فلاديمير جانكلفيتش ـــ النقي وغير النقي (فرنسي سنة ١٩٦٠)
٤ ـــ ن. جو سنا كارلسون ـــ ابعاد السلوك (سويدي مترجم انجليزي سنة ١٩٤٩)
٥ ـــ بول روبيشيك ـــ القيم الاخلاقية في عصر العلم (انجليزي سنة ١٩٦٩)
٦ ـــ ريتشارد روبنسون ـــ القيم الحرة (انجلترا سنة ١٩٦٤)
٧ ـــ م.ق.س. جيفريز ـــ القيم الشخصية في العالم الحديث (بلبكان انجليزي سنة ١٩٦٢)



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر: عصام ترشحاني

الليلة .. هذي الليلة ..

يرشح راسي

يخزل الكلمات ، يصلي

يسكنه الالهام الساطع

والاثمار القزحية ...

يبحر في جسد الرؤيا

يبحر في الملكوت العالم ،

في الشهوة

يفجؤه الحلم القادم

والوقت القادم

يصرخ .. اسعفني ..

وصل البحر ، انغلق البحر

أخاف الموت

أخاف الغزوة ،

اني اغرق ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ينفرج البحر ،

وتخرج جنية ماء الدهشة

عارية الظهر ،

وآهلة بالخدر الوحشي

فأحلم بالاسفار ..

تغيب .. فيذوي المشهد

تهرم صورة فوضى الشهوة في ذاتي

فأعوم ، اعوم ، بلا اطراف

يصدمني .. شبق الموج البارد ،

اسيقظ مخطوف الوجه

ومخطوف الارجل

مكتنز القلب ..

• • •

الداخل ينهض في اعماقي

يسألني في أوج اللذة

اين يسير الشيطان ؟

متى نخترق ذنوب العالم

نخرج منهـــا ؟

نتغرس بجسد الكون الاخر ؟

يدخلني الشيطان

يغوص بلحمي

يتوضأ من ملح دمي

يفترش خطاياي

يعربد ، يرقص

ويقيم الاعراس الموتورة ،

يجمعني ، يطرحني ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يجعلني صورة . هذا الزمن المترهل ،

• • •

الاصوات المزدانة بالجاه

الاصوات المأخوذة بعويل الدم

تجيء بلحظة موت العالم

تغني المزمور السادس بعد العشرين

وتعزف لحن القلق المزمن

تعتمر طقوس الاعوام الماضية

تطوف حوالي ،
تزنرني عري المعصر المتخم بالخيبة والخـــوف ..
وانا في الماء
اغوص ، اغوص ،

اخاف يلامسني قاع الموت الاجوف

اتحرق عطشا للحرية

والموت الطالع من كل زوايا الفتنة

يستفزف لوني

يهصرني في باب الغربة

وانا من عتلته الغربة ..

• • •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

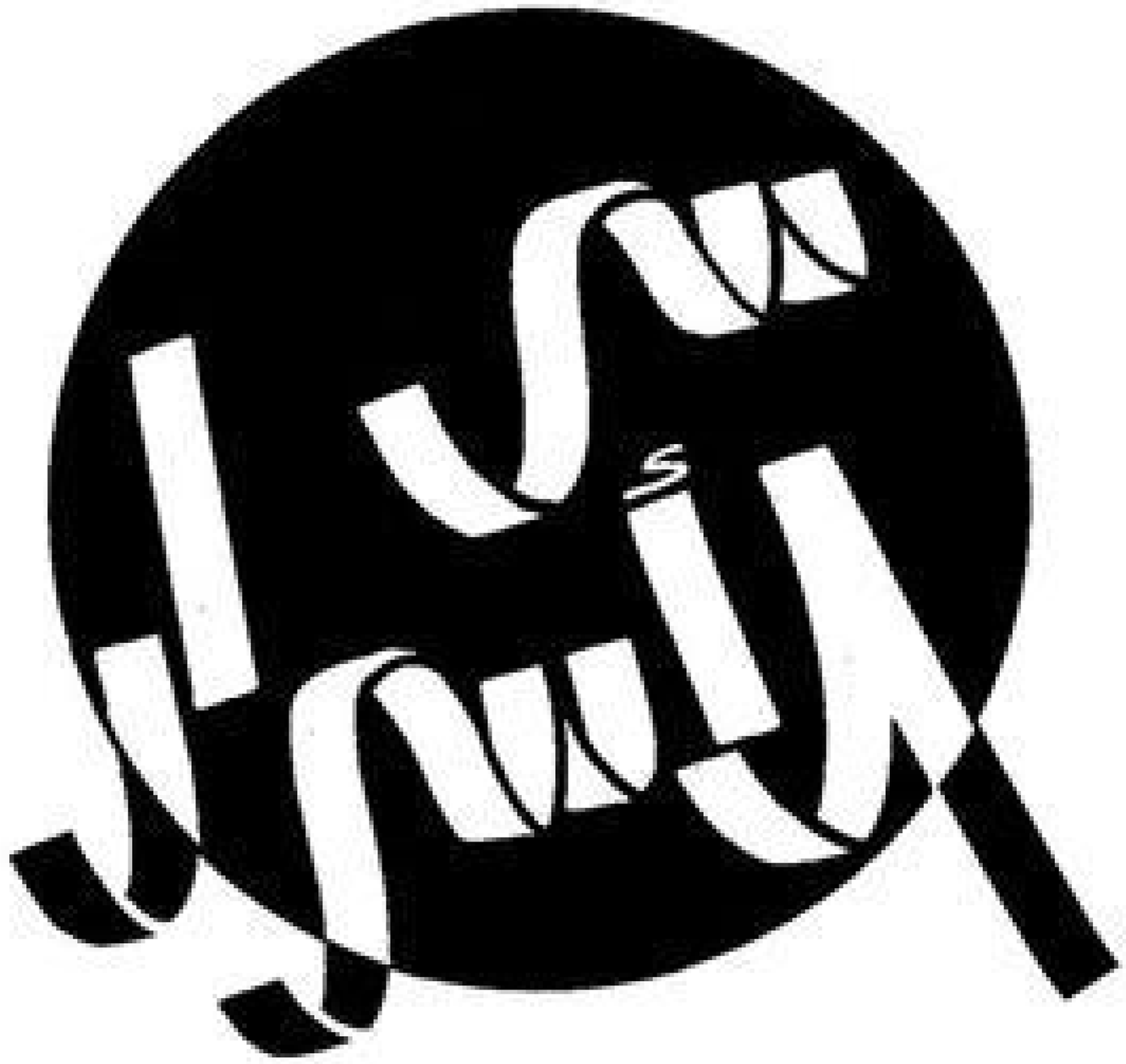
اصبحت بلا عنوان

ضمت وضاع الوطن ببابي

وانا انتظر الطوفان الابيض

وانا انتظر الطوفان الدموي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



مجموعة قصصية

بقلم: د. محمد حسن عبدالله

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نقد بقلم : يوسف الشاروني

هذه هي المجموعة الاولى للدكتور محمد حسن عبد الله أستاذ النقد بجامعة الكويت . وفي مقدمتها يثير مشكلة ذلك الصراع الذي طالما ارق الادباء : الصراع بين طريق الابداع والطريق الاكاديمي حيث ان احدهما لا بد وان يكون على حساب الاخر . فللابداع تضحياته الاولى في السنين المبكرة لكل مبدع ، فهو يتحمس لمغامرة لا يمكن التنبؤ بعواقبها ، قد تفشل وقد تنجح . اما الطريق الاكاديمي فهو اكثر ضمانا لانه محكوم باوضاع خارجية تدفع الانسان — بعد الخطوة الاولى وهي حصوله على الدرجة العلمية — الى خطوات تالية محسوبة معروف نتائجها مقدما . ومن لم يوهبوا بذرة الابداع يرضيهم هذا الطريق ويحققون فيه ذواتهم . اما



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من تؤرقهم تلك البذرة فانهم يظلون متمردين على وضعهم الاكاديمي مهما عاد عليهم من منصب او مال . وينظرون الى اخوانهم المبدعين نظرة الشجعان — كما لقبهم الدكتور محمد حسن عبد الله في مقدمته — الذين آثروا المغامرة . ويضرب لذلك مثلا بكل من توفيق الحكيم ونجيب محفوظ اللذين عانا هذا الصراع في بدء حياتهما الادبية ثم حسماه بتنمية جانب الابداع .

واعترف ان هذه المقدمة اثارت ذكريات شبابي المبكر ، حين عانيت هذا الصراع ، وكنت اهم باعداد رسالة في علم النفس احاول بها ان ارضي جانبي الصراع ، فكان موضوعها « الحلم وعملية الابداع الفني : دراسة

مقارنة » . ادرس فيها اوجه التشابه والتباين بين العمليتين باعتبارهما ينتميان الى عالم التخيل . لكني اذكر انني كنت اقصد المكتبات لشراء المراجع فأجدني قد عدت بمؤلفات ادبية ما بين ابداع ودراسات اكثر مما عدت به من مراجع لدراستي . فاذا فرغت للقراءة اجدني اقرأ كتابا يتصل برسالتي المزعومة وكتابين او ثلاثة مما اشتريته من كتب ادبية . فاذا ما جلست لكتابة رسالتي اجدني مشغولا عنها بكتابة قصة لا تلح علي الا حين احاول ان اجمع شتات فكري او اركزه على موضوع رسالتي ، حتى وجدتني في النهاية — وبدون الشجاعة التي يتصورها الدكتور محمد حسن عبد الله — انحاز الى طريق الابداع وانصرف عن الدراسة الاكاديمية . على انه — بالنسبة لي على الاقل — وجدت ان الدراسة الاكاديمية تتسلل في حياتي الابداعية عن طريق الاهتمام بالدراسة الادبية والنقد الفني بحيث انني لم اتخلص تماما من شوائب هذا الصراع . فلا يزال حتى اليوم ، يتصارع في نفسي هذان الجانبان : جانب المبدع وجانب الدارس . ومن حين لآخر يتغلب احدهما على الاخر .

ويبدو ان الدكتور محمد حسن عبد الله ، رغم ما بدا له وللآخرين من زملاء وطلبة أن الجانب الاكاديمي قد طغى في حياته نهائيا على جانب الابداع ، الا انه يبدو من ناحية اخرى ان شعلة الابداع كانت تتوهج من حين لآخر فتدفعه الى كتابة قصة من قصصه القصيرة التي ضمنها هذه المجموعة ، وهو — بحذر العالم وتواضع الفنان — يعلن ان بعض قصصها قديم جدا لانه يصف شارعا بالهدوء واصبح اليوم مزدحما ، او رجلا طويلا مثل سيمانور غمره بينما السيمانور اختفى اليوم وحل مكانه نفق شهير .. ولا اخفي انني خدعت بهذه المقدمة المتواضعة ، وهيأت نفسي لقراءة قصص متواضعة مثلها ، وحسبت انني مقبل على قراءة قصص قديمة — كما اوهمني مؤلفها — اشبه مما يباع لبائع الروبابيكيا الذي يدور على البيوت يشتري منها ما استغنى عنه اصحابها لعيب فيه او لقدم طرازه او لكثرة ما استعملوه فملوه فاستبدلوه . غير اني ما بدأت اقرأ حتى وجدتني اندمج فيها اقرأ وانه لا قديم وجديد في الادب — كما يعرف ذلك جيدا الدكتور محمد حسن عبد الله استاذ النقد الادبي — بل اما ادب او لا ادب . فنحن نقرأ الادب الفرعوني والاغريقي والجاهلي بنفس المتعة التي نقرأ بها الادب المعاصر . وقد تنبه ونبه المؤلف الى ذلك في ختام مقدمته حين اعلن انه لن يغير من هذه التعبيرات شيئا « ليس لمجرد الصدق بمعناه الحرفي — لا الفني — فقط . وانما ايضا لان هذه التعبيرات ليست جوهر القصة . فقدرتها التحليلية ومغزاها الانساني لا يتوقفان عند الظاهر او يحددان به » (د. محمد حسن عبد الله ، سر

الاسرار ، اخبار اليوم ، كتاب اليوم ، ١٩٨٠ ، ص ٧) . واضيف ان هذه التعبيرات ليست هامشية بالدرجة التي يتصورها المؤلف ، بل لها وظيفتها لانها تضفي على القصة جوها التاريخي فتحدد زمانها كما تحدد مكانها .

وتضم المجموعة عشر قصص يدور معظمها حول ذلك الموضـــوع الانساني الخالد : **العلاقة بين الرجل والمراة** . في القصة الاولى « ســر الاسرار » نجد ان صدمة الحب قد دفعت حامدا الى الانتقام الايجابـي : غادر القرية وعمل وعرق وكد وكسب واثبت انه يمكن ان يكون افضل من ذلك الزوج الذي فضلته عليه زينب لمجرد ان عنده فدانا ونصف فـدان . وفي قصة « سطوحي » نجد العلاقة الممتدة بين الزوج وزوجه ، فسطوحـي يحلف على زوجته ــ على اثر معركة بينهما ــ الا تبيت ليلتها في بيته ثم يعود فيندم على تصرفه ، وتنهبه الشكوك وهي تبيت تلك الليلة ــ وبسبب تسرعه ــ في بيت ناظر العزبة . وفي قصـــة « مسالة ضمـــير » نجد ان الشاب الاعزب المنصرف عن الزواج يتورط في موقف يرغمه على الزواج . وفي قصة « عصفور كناريا » ــ وهي من قصص المجموعة الناجحة ــ نجد ان الشاب الذي صدم في حبه الاول بسبب تفضيل اهل حبيبته المصلحة على الحب ، يعود هو بدوره فيهم بالزواج على اساس ما كان هو نفسه ضحيته سابقا ، ثم يعدل عما هم به حين يكتشف ان الطيـــور نفسها لا تتزاوج الا عن اختيار . وفي قصة « الحفل الخيري » نجد قصة الخيانـة الزوجية ، فالزوجة وصديقها في القاعة يتلامسان ويتباعدان عبر الطفل الجالس بينهما ــ وهو طفل المراة ــ بينما الزوج منظم الحفل مشغـول بتنفيذ برنامج الحفل وادخال السعادة على الجميع . والقصة تتبع دقيق لحركات الزوجة وعشيقها وتدخل الطفل من حين لآخر ليفسد عليهمـــا متعتهما المحرمة . وقصة « المعدية » بطلها شاب لا يستطيع ان يعبر الى الجنس الآخر رغم محاولاته ورغبته في ذلك ، ورغم سنوح الفرصة امامه . وحجته في هذا انه مرتب وهادىء ومازال صغيرا والايام امامه كثيرة ولا مانع من انتظار ظروف اكثر ملاءمـــة (ص ٨٢) . وفي قصـــة « باطـل الاباطيل » نجد صدمة الفتاة هذه المرة من ابن خالتها بعد ان سافرت الى الكويت بهدف الحصول على مرتب افضل يتيح لها تكويـن بيـت . اول اسبوع تلقت كل يوم رسالة ، وثاني اسبوع رسالتين ، وبعد اسبوعين رسالة ، ومنذ شهر لا تعرف عنه شيئا ، فالبعيد عن العين بعيد عن القلب (ص ٩٦) . وتحول جانب من طاقة الحب المحيطة نحو تلميذتها غنيمة حتى اتقنت غنيمة اللغـــة العربية التي تقوم نوال بتدريسها تعبيرا عن هـــذا الحب . فعلاقة نوال بابن خالتها حسن وصدمتها في تلك العلاقة خلفيـــة لعلاقتها بتلميذتها اي انها الماضي الذي ادى الى الحاضر .

انها تدرجات تلك العلاقة الازلية الابدية بين الرجل والمراة من معارك بينهما الى تهيب من طرف امام الطرف الآخر . **والمـرأة في معظم هـذه القصص اكثر ايجابية من الرجل او على الاقل لها شخصيتها الواضحـة .** وضح ذلك في قصة « سطوحي » مع زوجته عزيزة ، فهـي لا تخضـع لاوامره اذا وجدت في هذه الاوامر اهانة لكرامتها . انكسر بلاضها فطلب منها أن تشحذ بلاصا فكان ردها انها لم تكن تشحذ في دار ابيها ، وان لم يكن زوجها قادرا على اعاشتها فليطلقها . غير انه ما ان حلف بالطـلاق ألا تبيت عنده الليلة حتى انهارت وتهاوت على الارض تبكي وتنتحب في صمت (ص ٢٧) . وفي قصة « مسألة ضمير » نجد ان سامي يعهد الـى صديقه احمد بمرافقة اخته نبيلة اثناء سفرها بالقطار من المنصورة الـى القاهرة حيث يقوم بتوصيلها الى بيت خالتها . لكنهما حين يصلان الى بيت الخالة يكتشفان ان الاسرة غير موجودة بالشقة . فيجيء الاقتراح من نبيلة ـــ وليس من احمد ـــ ان تذهب الى شقته للاستراحة ثم العودة . ثقـة شديدة في نفس فتاة شرقية . وعندما عادا ولم يجدا احـدا كانـت هي صاحبة الاقتراح مرة اخرى بالعودة الى شقته للمبيت فيها ، هي في الحجرة البيتمة التي تصلح للنوم بينما جلس هو على كرسي في الحجرة الاخرى . وفي الليلة التالية ـــ وقد اتضح ان الاسرة في الاسكندرية ـــ كانت هـي التي اقترحت النوم في سرير واحد « سأنام وانا ملتفة في الغطاء وتنام انت بغير غطاء » (ص ٤٢) . بينما احمد يعارض قائلا : لا أستطيع . هذا غير ممكن . ونفذت نبيلة فكرتها . بينما نلاحظ من تتبع ما دار في نفسية احمد بعد ذلك انه كان خائفا من نفسه اكثر مما كان خائفا من ضبطهما متلبسين بشيء لم يقترفاه . غير انه عندما فاجأهما سامي في الشقة ففاجأ بأن ثقة نبيلة الشديدة في نفسها تتركها تقف متلجلجة امام اخيها لا تعرف كيـف تدافع عن تصرف كانت هي صاحبته ونجحت في تنفيذه دون ان تنزلق الى ما خطر ببال اخيها . وهكذا نجد انه سواء على مستوى الفلاحة زوجـة سطوحي او نبيلة طالبة الثانوي فان ايجابية المراة ما تلبث ان تتراجـع عندما تواجه بموقف كأنها لم تكن تتوقعه مع انـــه كان نتيجة طبيعيـة لتصرفها .

وفي قصة « الحفل الخيري » نجد ان الزوجة هي التي تخون (ولـو كشفت خيانتها فلا بد انها كانت ستنهار قياسا على تصرف زوجة سطوحي ونبيلة) وفي قصة « المعدية » نجد ان الفتاة التي تعرف عليها معاون صحة مكتب الروضة عندما رأت تردده في علاقته بها قالـت له بصـوت ملىء بالثقة : يعجبني الواقعيون الصرحاء الذين يعرفون ما يريدون ويتجهون اليه في شجاعة وبلا التواء . وعندما اوصلها الى بيتها كانت هي التـي

اقترحت ان يصعد معها لكنه رفض متعللا بتأجيلها الى فرصة اخرى . وفي القصة الاخيرة « للحكاية بقية » نجد ان عصابة من الاشرار تهاجم عربة قطار فيقاومها بعض ركابها . وعندما يتجه احدهم الى زوجة عبد الله احد الركاب ويطل القصة محاولا الاعتداء عليها نجدها تهاجم مهاجمها بضراوة « فانشبت اظافرها فيه . وتلقت اسنانها أصبعه . وحاول ان يخلصها من فمها ولكن فكيها تشنجا ولم يعد من الممكن انفلاتها فراح يصرخ متألما وهو يسدد نحو جبهتها ضربات طائشة (ص ١٤١) . عندئذ تحولت المقاومة في عربة القطار من مقاومة فردية الى مقاومة جماعية مما قلب الموازين حتى وصل القطار محطة القاهرة فافلت من المجرمين من افلت وقبضت الشرطة على الباقين . انها قصة كابوسيه لعل بها انعكاسات لهزيمة ١٩٦٧ وما وقع فيها من احداث بالنسبة للشعب العربي ، وان كان عنصر التفاؤل يطغى على نهايتها .

والاهتمام بتصوير الشخصيات لا يقل عن الاهتمام بالموضوع . وتصوير الشخصيات يتم من خارجها ومن باطنها ، ولهذا نجد استخدام الزمنين الحاضر والماضي . فاذا كان الحاضر هو الواقع الذي تعيش فيه الشخصية فان الماضي هو ذكرياتها . في القصة الاولى « سر الاسرار » نلتقي بشخصيتين رئيسيتين هما : حامد وصديقه مصطفى ، ثم شخصيتين ثانويتين هما فطومة ام حامد وزينب زوجة مصطفى ، ثم شخصيات هامشية مثل زوجة حامد وابنتيها ناهد . وهو يقدم شخصياته باكثر من بعد ، البعد المادي مثلا : فخالتي فطومة ترتدي الآن فستانا اسود قطيفة الزيدة ، وتمسك شنطة لميع ، وفي فمها سنة ذهبية تبرق في عين محدثها . وفي مقابل ذلك صورتها السابقة : ذيل جلبابها الاسود معقود حول خصرها ، وتحت الركبة بقليل يظهر كرنيش السروال الاحمر الفاقع ، وقدماها المعروقتان تثيران من حولها زوبعة خفيفة من الغبار الحار ، وهي لا تزال تنادي بصوتها المدوي في حارات القرية كل ظهيرة « لوبيا يا فجل » ، والمشنة الخضراء يسيل ماؤها على وجهها فتمسحه بيدها بأن توزعه على وجهها بين كل نداء ونداء » . (ص ١٠) . والبعد الجسمي هنا يدل على التحول من بعد اجتماعي الى بعد اجتماعي آخر .

واذا كانت قصة « سر الاسرار » تدور حول تطور اجتماعي لبطلها . فان قصة سطوحي تدور حول تطور نفسي لبطلها . فسطوحي عصبي مندفع متهور رمى الطلاق على زوجته عزيزة الا تبيت الليلة عنده لانها اهانته امام رجال القرية على اثر معركة نشبت بينهما . ويتغلغل المؤلف في نفسية بطله باحثا عن الدوافع الخفية الكامنة في نفسيته لهذا الموقف ،

فنراه يقول عن بطله : كان يدافع عن نفسه امام نفسه بان هذا اجـراء املاه الموقف ، وهو سليم جدا . فقد اثبت انه ان كان للناظر سلطان عليه في عمله فان سلطانه يقف عند عتبة الدار ولا يتعداها الى شئونه الخاصة ... فهو حر .. وقد اثبت ذلـك ... وحلـف اليمين .. امام الناظـر (ص ٢٧) . غير ان سطوحي ما لبث ان ندم على هذا التصرف . فاهـل روجته بعيدون في البراري . لهذا اقترح الباشخولي ـ حلا للاشكال ـ ان تقضي عزيزة الليلة المحلوف عليها في بيت حضرة الناظر مع السمت الهانم والستات الصغار . وهنا انبه ضميره على تصرفه وتمثل له هذا التانيب في تخيله ان الناس تسخر منه لانه ترك زوجته تبيت في بيت رجل آخـر طوال الليل . وقضى سطوحي ليلته ساهرا تؤرقه هذه الشكوك ، حتـى اذا تبلج الفجر تبين ان الناظر بات عند اقاربه في البندر واتى في قطـار الصباح مبكرا . فشكوكه اذن لم تكن الا لونا من الوان عقاب النفس على تسرعه ودلالة على حبه الدفين لزوجته رغم ما يوحي به ظاهر تصرفه . وواضح ان القصة من عنوانها « سطوحي » من قصص الشخصيات التي تتضح سماتها من خلال موقف متازم ، وكان الاهتمـام بالبعـد النفسي للشخصية اكثر من الاهتمام بابعادها الاخرى .

ولعل قصة « الميزان » من اوضح قصص المجموعـة التي تصـور **الشخصيات** . انها قصة لها ابعادها الرمزية لما حدث من « اسرائيـل » مع الشعب العربي . عاش اليهود في حماية الشعب العربي آلاف السنين ثم احتلوا جزءا من ارضـه ونكلوا باهله : قتلوا من قتلوا وشردوا مـن شردوا . ويتحرك المؤلف مع الشيخ ابي هشام من حاضره الى ماضيه ، ومن خارج نفسيته الى الداخل مخزن ذكرياته .

ثمة سمة اخرى من سمات الشكل هو **عنصر المفاجاة** الذي تنتهي به اكثر من قصة . ففي القصة الاولى « سر الاسرار » نجد انها اشبه بتلك القصص الاسطورية التي يغيب فيها البطل ويعود ثريا وفي يده زوجـة حسناء لانه عثر على كنز او تزوج بنت الملك ... الخ . فقريـة حامـد ارجعت غناه الى اسباب ، وان لم تكن اسطوريه الا انها لا تمت الـى الجهد والعمل « والنبي ما غير انه تاجر في المحروق .. واغتنى على قفـا المساطيل » (ص ٢) . ويحاول مصطفى صديق حامد وجاره ومنافسه على حب زينب والذي فاز بها من دونه ان يعرف سر هذا التغير الذي طرا على صديقه حامد بحيث نقله من فئة المعدمين الى فئة الشبعانين بعد غيـاب دام خمس سنوات عن القرية ؛ على اثر افلات زينب منه ـ وهو المتعلم الفقير ـ الى احضان صديقه مصطفى وان لم يكن لديه من العلم ما لدى حامد الا ان لديه فدانا ونصف فدان لا يملكهاحامد . وهكذا بدا ان الثورة

تهزم العلم اذا كان ثمة منافسة بينهما . غير ان نهاية القصة تطمئننا الى ان هذا وضع غير دائم لان علم حامد افاده ، والمسألة لم تكن مسألة حظ هبط عليه من السماء ، كل ما هناك انه بعد صدمته في زينب ترك القريه باحثا عن عمل حتى وصل الى كفر الدوار حيث عمل في مصانع النسيج « اكل العيش يا مصطفى يا خويا ... ورديات ليل ونهار .. مصانع ... دنيا مهولة ــ ناس بتجري على رزقها » . هذا هو سر ثروته : العمل والعرق. وليس كما توهم اهل قريته ــ بدافع كسلهم العقلي والبدني معا . ولهذا فان زينب زوجة مصطفى ــ وحبيبة حامد سابقا ــ تدخل تغييرا على اختيارها السابق ، عن طريق طفلها هذه المرة ، فتعلن رغبتها في ان يذهب الى المدرسة ويتعلم كلمتين . وكان راي والده من قبل الا يذهب الى المدرسة ويتعلم صنعة ، لكنه ما لبث هو ايضا ان ادرك قيمة العلم ولهذا تختتم القصة وهو يحادث نفسه : بكره تروح المدرسة يا منصور .. لازم تروح . (ص ٢٢) .

ان هذه القصة تذكرنا على الفور بقصة الرجل الذي جمع اولاده وهو على شفا الموت معلنا لهم انه ترك لهم كنزا في الحقل عليهم ان يبحثوا عنه . فلما مات ذهب اولاده يحرثون الحقل ويقلبون تربته بحثا عن ذلك الكنز دون جدوى . غير انهم عندما زرعوه وحان موعد الحصاد وجدوا ان المحصول الوفير ــ نتيجة للحرث الجيد ــ قد عاد عليهم باكثر مما يعود به اي كنز . فادركوا ان الجهد والعرق هو الكنز الحقيقي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي قصة « سطوحي » نجد ان كل ما توهمه واوهمنا معه كان على غير اساس ، فالناظر بات خارج بيته الذي ضم زوجة سطوحي عندما حلف عليها سطوحي بالا تبيت في بيته . وفي قصة « مسالة ضمير » نجد ان المفاجأة ما تزال عنصرا اساسيا من عناصر البناء القصصي . فاحمد الذي كان عازفا عن الزواج قد تورط في موقف ارغمه في النهاية على ان يقبل ما كان منصرفا عنه . فقد تمنى سامي لصديقه احمد ان يلتقى به في الاجازة القادمة ومعه امراة وطفل ، وكان رد احمد انه لا حاجة به الى خوض حرب غير مضمونة . وفي نهاية القصة نجد احمد يتزوج نبيله اخت صديقه سامي لان الظروف ارغمتهما على النوم معا في شقة واحدة بل في سرير واحد ــ وان لم يحدث اكثر من ذلك ــ ولكن ما كان يمكن اصلاح الموقف امام سامي الا باعلان الزواج « اية نبوءة اطلقها سامي في كازينو منيرفا بالمنصورة وصدقت بسرعة عصر الصواريخ » . (ص ٥٠) .

وفي قصة « **عصفور الكناريا** » ــ وهي من اجمل قصص المجموعة بسبب اسلوبها البسيط تدلنا على ذلك جملتها الاولى : « لم يكن في مسكني شيء لافت للنظر .. ولا حتى انا » (ص ٥١) . نجد ان نهاية القصة هي التي تحسم الموقف وتلقي ضوءا على كل ما سبقها من احداث وما سيتلوها من احداث . والقصة تدور حول الصراع التقليدي عند الزواج : هل هو زواج الحب او زواج المصلحة . فالبطل ــ الذي يروي لنا قصته بضمير المتكلم ولا نعرف اسمه ــ صدم في شبابه المبكر ــ كما صدم حامد بطل قصة « سر الاسرار » ــ حين فضل اهل الحبيبة التي احبها رجلا ثريا بالنسبة لاسرتها عليه وهو ما يزال طالبا في البكالوريوس . لقد كان ضحية زواج المصلحة . فهل تدور الايام ويؤمن هو بما كان ضحيته؟ عرضت عليه امه بنت الحاج مكاوي فرفض لانه يحمل بكالوريوس في العلوم الزراعية وهي لا تحمل الا شهادة الميلاد وعددا من الفدادين ، ويقوم عرض امه على اساس : فمها واسع قليلا . ضع عشرين فدانا على جانبيه وهو يصير في حجم الخاتم (ص ٥٤) . ويقول هو : عندما كنت متواضع الحال زهد في الفقراء . وبعد ان شاع عني امتلاء جيبي خطبني الاغنياء بلا نقود (ص ٥٤) . وفكر ان يتزوج بنت المدير ، بل انه وضع الدبلة فعلا في اصبعها . لكنه عندما يتخيل نفسه وقد ارتبط بها الى الابد لا يشعر بتلك الفرحة التي تغمر قلب الخاطب بخطيبته . لكنه كان يرى ان اسرتها تكمل نواحي ضعفها (ص ٥٨) . وقد اهدته خطيبته قفصا معدنيا رشيقا فيه زوج من عصافير الكناريا ، وعندما عاد بهما الى بيته وضعهما في الشرفة ، مما ترتب عليه موت الانثى التي لا تحتمل برد الليل . وعندما ذهب الى المحل الذي اشترت منه خطيبته القفص كان يظن ان صاحب المحل سيعطيه انثى غيرها في الحال ، غير انه طلب منه ان يترك القفص اسبوعا حتى يتم زواج الذكر باحدى الاناث التي يختارها . عندئذ قرر بطلنا ان ينتقل عند مدير اخر .

وفي قصة « **باطل الاباطيل** » نجد ان القصة تبدا بالمدرسة وهي تصحح كراسات تلميذاتها وهي تضع خطا تحت خطأ متكرر عند معظمهن فتشطب الياء في كلمة (باكي) وتضع كسرتين تحت الكاف . وفي نهاية القصة نجد انها تتلقى في غربتها المعايدة الوحيدة من تلميذتها غنيمة ونصها: استاذتي العزيزة من تلميذتك المخلصة ، تقبلي اجمل التهاني بالعيد ، والسنة القادمة تكوني قد حققت كل احلامك » . فما كان من نوال الا ان وضعت خطا تحت كلمة (تكوني) وكتبت فوقها (تكونين) . انها نهاية رقيقة تتم دورة البناء الفني ودورة الانطباع الذي تريد القصة ان تنقله الى قارئها .

ان مجموعة « سر الاسرار » تدل على ان صاحبها يمتلك موهبة الابداع القصصي ، وانه لو انصرف الى تنمية هذه الموهبة لقدم لنا مزيداً من الانتاج الادبي يمتعنا به كما امتعتنا هذه المجموعة لا سيما في قصص ثلاث كانت اقرب قصص المجموعة الى قلبي وعقلي وهي : « **عصفور كناريا** » و « **المعدية** » و « **باطل الاباطيل** » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



للشاعر: فرج مكسيم

الى سر « بوريس باسترناك »
الذي لم يعلن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

— ١ —

حينما تفتح النافذة
يقفز قلبك منها
طائرا من لهب
...
دعه يثب
ربما في النجوم البعيدة
يطفىء النار
او يستريح من الفكريات السليطة
ربما .. ربما
وان ظل محترقا
في الوجود البعيد
سوف يحظى هناك ..

بقبر مضيء
•••
ابـــــدا
لم يكن داجنا
فاعطه فرصـــة
يجرب جناحيه مرة

— ٢ —

ظمؤك لا يرويه النهر
نارك لا يخمدها البحر
فلماذا تحبس قلبك
في قفص الصدر

— ٣ —

صدقت فيك الرؤيا
قدرك يجـــدك
قدرك ليس يحيك
قلبك .. وجهك
تصـــــلي ؟!
لكي تعبر الكاس عنك
وانت الذي تشتهيها
فذقهـــا
لتسحق راس الافاعي الظنون
وذقهـــا
فريش الطواويس ..
لا بد ان يتساقط ..
تبنى به الطيور الجديدة
اوكارها الدائرة
ولا بد ان يكمل القمر الدائرة
فذقهـــا .
خـــــوفك
لن يوقف الساعة المستمرة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فقلبك منفمس في دمك
وحـــــزنك
لن يحجب الشمس خلف المجرة
لان الذي كان سوف يكون
ولا بد أن يكمل القمر الدائرة
فنقهـــا
لان الذي يراها
يجن اذا لم ينقها
لانك ما زلت متكئا في الشجن
على قشرة من زمن
يموت بها الابرياء
في سجون البكاء
لان القضاة استماتوا
لتحصيل مال البقاء
ولم يرجعوا بعد من رحلة الصيد ..
في رفقة الامراء
وأنـــــت ..
كما انت ..
متكىء في الزمن
ومرتحل
من أمس .. لامس
على القارة البائسة
تحيط بك الذكريات السليطة ..
والاوجه اليابسة
فماذا تظن الثمن ؟
وليس لديك
سوى حزنك المختزن
فبدده ..
بـــدده
لا شيء فيه
سوى خاتم من صفيح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اذهـــــب
حسنا تفعل لو انك تذهب
انـــــظر
اني لا امسكك البتة
انـــك حـــر
فارحـــــل
اني لن اضطهدك بالندم ..
اذا ابحرت
ارحـــــل
ماذا تنتظر هنا
ارحـــــل
لا حـــب هنا
لا شيء هنا
الا ان تفتح نافذة
فتقطع شريانـــا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فرج صادق مكسيم

— القاهرة —

جمهور القراء الجديد ونشأة الأدب

المنفلوطي

د. ناجي نجيب
جامعة برلين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان المنفلوطي يعرف جيدا انه لا يكتب « للخاصة » ولا يكتب لنخبة أو صفوة ، وانما « لعامة » القراء في عصره وكان يحس الكثير من الحرج أو الهيبة قبل حملة الذوق الادبي الرسمي ويدرك ان فاصلا ما يفصل بينه وبين خاصة الادباء والمناديين وان سهامهم قد تصيبه . وأفضل تعبير لذلك هو مقاله « الحياة الذاتية » ، وفيه يتحدث عن نفسه واهدافه ، وان ادعى ان الكلام لاديب صديق .



المنفلوطي

والمنفلوطي في هذا المقال وغيره (مثلا في مقدمة الجزء الاول من « النظرات ») حين يتحدث عن نفسه وادبه ، انما يعلم جيدا ما له من مكانة بين القراء . ويحاول ان يرى نفسه في ضوء هذه المكانة وان يدعم هـذه المكانة وينظر لها او يبررها . هذا على خلاف العقاد والمازني مثلا في مقدمة « الديوان » (١٩٢١) فهذان يشرحان تصورهما للادب ايمهدا لانفسهما الطريق ، وينظران « للادب الجديد » من اجل اقتحام ميدان الادب وتصدره.

ويعتبر آخر : حديث المنفلوطي عن نفسه وادبه اشبه برجع الصدى وتاكيد الذات في حين ان العقاد والمازني ينظران لاحداث الصدى .

هدف الادب عند المنفلوطي ــ كما يرى ، او كما يجب ان يرى ــ هو منفعة القارىء وتربيته ، بل اصلاح شؤون الناس والامة . وليس هــذا الهدف ــ على السطح على الاقل ــ بجديد او غريب ، فمنذ مطلع النهضة الحديثة (الطهطاوي) في« تخليص الابريز » ١٩٣٤ وفي « مناهج الالباب المصرية »١٨٦٣ وعلي مبارك في « علم الدين » ١٨٨٢ وعبد الله النديم في « التنكيت والتبكيت » ١٨٨١ وفي الاستاذ ١٨٩١ ، والمويلجي في « حديث عيسى بن هشام » ١٨٩٨ ــ ١٩٠٠) تستهدف الكتابات الادبية غايــات تعليمية وتربوية، ولكن الجديد ان المنفلوطي يطبع هذه الغاية بطابع ذاتي او شخصي ، اي يحولها الى علاقة خاصة بينه وبين القارىء ، وينقــل الاغراض التعليمية التنويرية لرواد النهضة في القرن التاسع عشر الى المجال النفسي والعاطفي . يقول المنفلوطي في مقال « الحياة الذاتية » :

« انني ما اقدمت على الكتابة للناس في اصلاح شؤونهــم ، وتقويم معوجهم ، الا بعد ان عرفت اني استطيع ان انزل منهم منزلة المعلم من المتعلم ، اما خاصتهم فلا شان لي معهم ، ولا علاقة لي بهم، ولا دخل لكلمة من كلماتي في شان من شؤونهم ، فلا افرح برضاهم ، ولا اجزع لسخطهم ، ولاني لم اكتب لهم ، ولم اتحــدث اليهــم ولم اشهدهم امري ولم احضرهم عملي ، بل انا اتجنب جهد المستطيع ان استمع منهم كل ما يتعلق بي من خير او شر ،لاني راض عن طريقتي التي اكتب بها اياها ، فلا احب ان يشككني فيها شك ، ولم يهبني الله من قوة الفراسة ما استطيع ان اميز بين مخلصهم ومشوبهم .. واما عامتهم : فهم بين ذكي قد وهبه الله من سلامة الفطرة وصفاء القلب وسلامة الوجدان ما يعده لاستماع القول واتباع احسنه ، فانا احمد الله في امره ، وضعيف قد حيل بينه وبين نفسه فهو لا يرضى الا عما يعجبه ، ولا يسمع الا ما يطربه ، فاكل امره الى الله واستلهمه صواب الراي فيه حتى يجعل له من بعد عسر يسرا ، فانا انما اكتب للناس لا لاعجبهم ، بل لانفعهم، ولا لاسمع منهم انت احسنت ، بل لاجد في نفوسهم اثرا مما كتبت ...

اتدري لم عجز كتاب هذه الامة عن اصلاحها ، لانهم يظنون .. انهم جالسون بين ايدي اساتذة اللغة يتلقون عنهم دروس البيان ، فترى واحدا منهم يكتب وهمه المالىء قلبه ان يعجب اللغويين او يروق المنشئين .. ولا يدخل باب اغراضه ومقاصده ان يتفقد المسلك الذي يجب ان يسلكه الى قلوب الذين يقول انه يعظهم او ينصحهم اويهذبهم

او يثقفهم ليعلم كيف ينفذ الى نفوسهم وكيف يهجم على قلوبهم وكيف يملك ناصية عقولهم ... »

(النظرات ٢/ص ٥٧ ــ ٥٨)

منمنظار تاريخ الادب تعبر هذه السطور عن تحول كبير ، فلم يعد الهدف من تطوير اساليب الكتابة التقليدية هو التيسير على القارىء ، او « ترغيب القارىء ، أو تقريب عالم » « الفنون والعلوم الحديثة »اليه ، كما هو الحال عند الطهطاوي وعلي مبارك والنديم . وانما هو تفقد المسالك الى نفس القارىء وامتلاك ناصيته . هدف المنفلوطي ــ كما يعبر عنه ــ هو التواصل على مستوى الخبرة الذاتية والشعورية والفردية .

وجماليات التعبير التي تتراءى له هي جماليات التعبير النفسي وجماليات التوافق بينه وبين القراء ، لا جماليات الاجناس الادبية وتقاليدها، او جماليات ادب التنوير او ادب المعارضة .

ليس البيان ــ كما يرى المنفلوطي بحكم هذه النظرة ــ هو اتقان الوان البيان والمحسنات اللفظية ، وانما هو القدرة على التعبير عن النفس وعلى التواصل مع القارىء او المستمع ، او كما يقول المنفلوطي .

« ليس البيان الا الابانة عن المعنى القائم في النفس وتصويره في نظر القارىء او سمع السامع تصويرا صحيحا لا يتجاوزه ، ولا يقصر عليه .. » (النظرات ٢/٦)

ويقيم المنفلوطي موهبة الكاتب بمقدار قدرته على التواصلمع القارىء :

« الكلام صلة بين متكلم يفهم وسامع يفهم ، فمقدار تلك الصلة من القوة والضعف تكون منزلة الكاتب من العلو والاسفاف ... »

(النظرات ٢/٧)

ويعني هذا من حيث النظرية على الاقل ــ رفض جماليات النماذج والقوالب الادبية المتوارثة ، والتحرر من اساليب التعبير غير الشخصية كما تتجلى في المقامة وفي الرسائل الاخوانية وفي الترنم بالمحسنات البديعية، وفي السجع اللفظي والاوزان ، اللغوية ، وفي غير ذلك من اساليب الكتابة التي تعيش على التقليد والاقتباس والتضمين .

فالانجاز المنفلوطي، او الجديد الذي استحدثه المنفلوطي يكمن في استجابته لجمهور القراء الجديد . وفي انتقاله باساليب التعبير منالمستوى غير الشخصي الى المستوى الشخصي او الذاتي ، ومن مستوى اللغويات الخارجية الى المستوى الوجداني الشعوري .

نعم ان المنفلوطي يستخدم الكثير من اساليب البيان التقليدية ــ رغم نقده لها ــ لكنه ينقلها من المستوى اللغوي الى المستوى الوجداني العاطفي ، ــولا يستغني المنفلوطي عن الغريب من الالفاظ والتعابير التي

يشرحها في الهوامش ، ولكن القارىء ليس في حاجة الى التوقف عند هذه الشروح ، فانه يستوعب الالفاظ والمقاطع بوقعهـــا النغمي الوجدانـــي وبمعناها الاجمالي الايحائي الذي يوحي به السياق ، فهذه الالفاظ لن تعوق مساره ، في اطار الاسلوب المنفلوطي يغني رنين اللفظ الغريب عن معناه، والمنفلوطي كثيرا ما يغرب من اجل الرنين والواقع الايحائي.

ويسترجع يحيى حقي (من مواليد عام ١٩٠٥) كيف استوعب جيله نصوص المنفلوطي فيقول :

« كان (المنفلوطي) من اعز الناس لدى الجيل الذي انا منه .. ان سحره لا يقاوم وفضله علينا عظيم . ولو انه رحمه الله اكبـــر مسؤول عن دموع ماقينا وزفرات صدورنا .. ونحـــن نقرأ لـــه « العبرات » و « مجدولين » او « تحت ظلال الزيزفون » لم نبال ان نسأل « ما معنى الزيزفونن » مهما يكن معناها يكفي أن لها رنينا جميلا له طعم حلو في الفم ويغمرنا بلذة رقيقة توحي بالاحلام . الا ترى انها تصلح اسما لالة موسيقية ؟.. »

(يحيى حقي « خليها على الله » ـــ كتاب الهلال ١٩٥٦ ط٢ ، الكاتب العربي ص ١٢٧)

الرومـــانسية العليا والرومـــانسية الدنيا

حين يربط المنفلوطي مفهوم الادب والبيان « بالصدق » فانه يعني التعبير عن الذات والشعور ، ومشاركة القارىء في مشاعره واحزانـــه او في بؤسه وشقائه كما يقول في مقدمة « العبرات » ويعبر عن ذلك في مقدمة « النظرات » فيقول :

« كان اشعر الشعراء عندي واكتب الكتاب . . اوصفهم لحالات نفسه او اثر مشاهد الكون فيها ، واقدرهم على تمثيـــل ذلـــك وتصويره للناس (ص ١٥) أما من يصف غير حالات نفسه ،فقـــد يكون « عالما » أو انسانا « ذكيا » ، ولكنني لا اعده كاتبا اوشاعرا»

(ص ١٦)

وعلى نحو مماثل يفرق المنفلوطي في مقال اخر بين « الشاعـــر » و « الناظم » ، فميزان الشعر هو « التاثير » ، وقدرة الشاعر على « رفع ذلك الستار المسبل بينه وبين السامع » (النظرات ٢/٢١٠) .

وحين يربط المنفلوطي مفهوم الادب الجديد بالذات والشعور والصدق فانه يعكس مطلبا عاما منمطالب العصر . عند مطلع القرن ، فهذا المطلب

من دعائم المنفلوطية والجبرانية(نسبة الى جبران خليل جبران)ومن مفاهيم التيارات الادبية المغايرة . اذ هو في الجوهر تعبير عن شيء مشترك ، الا وهو بزوغ شعور الفرد بذاتيته وبحريته واستقلاله ، وان تفاوت هـذا الشعور من حيث الوضوح والوجهة ، وان اتم بحكم نشاته التاريخيـة المتاخرة في مجتمع مستعمر ــ بالغموض وعدم وضوح الوجهة (ولعل افضل تعبير عن هذه الصعوبة هو مصطفى كامل ، في عاطفتهالوطنية الرومانسية وفي مسالكه الكفاحية) .

وقد لا نتصور وجهة رديكالية مغايرة للمنفلوطية كوجهة العقاد ،الذي ادرج المنفلوطي في عداد « المنشئين » لا « الكتاب » ، وبالرغم من ذلك فمحور مفهوم «الادب»عنده (مفهوم «الادب الرفيع» بطبيعة الحال) هـو الصدق ، والشعور ، والتعبير عن النفس . كتب العقاد عشرات المقالات شارحا ماهية الادب والشعر ، واطنب في هذا المجال . ومهما اجتهدنا في تفسير ما كتب ، فلن نخرج في النهاية الا بحصيلة واحدة : معيار الادب والشعر هو الصدق بمعنى قدرة الشاعر على التعبير عن نفسـه وعـن سريرته وعلى الترجمة عن عالمه وعصره الذي يراه في نفسه . فالاحساس هو الذهب المودع في خزانة النفس وهو الثروة الشعرية التي يقاس بها سراة الكلام » .

(العقاد : ابن الرومي ، حياته من شـعره ، ١٩٣١ ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص ٧)

وان خرج الشاعر عما يحس ويشعر فهو مقلد ، صناع او ناظم ، وليس شاعرا مهما اجاد (« الديوان » ١٩٢١) .

ليس الفارق كبيرا بين ما يقوله العقاد وما يقوله المنفلوطي بل همـا يتفقان في النظر الى « الشعر » على انه اعلى مرتب البيان ، ولكن ليـس الشعر كقالب ادبي وانما كتعبير شعوري (١) ويعتبر المنفلوطي «نظراته» و « عبراته » من هذا الباب (من ادب « الحياة الشعرية ») الخلاف هو ان العقاد يتجه ــ منظرا ــ بمفهوم « الاحساس والشعور » الى افاق عليا ترفع الشاعر أو الاديب الى مرتبة « الكشف » و « النبوة » و « التفرد »في حين يقنع المنفلوطي ــ كاتبا ــ بالتعبير عن ما سماه الام الناس واحزانهم . الفارق بينهما بتعبير اصطلاحي هو الفارق بين « الرومانسـية العلـيا » و « الرومانسية الدنيا » ، والاصطلاحان هكذا ماخوذان من تاريخ الادب العربي الحديث .

حين يعيب العقاد على المنفلوطي انحصاره في تصوير الام الفاقـة والجوع « والمصائب الجسمية » ، لا يعيب عليه قصور رؤيته الاجتماعية وجهله بالبنى الطبقية او اغفاله التام للمجال السياسي ، وانما يقـارن

فحسب بين هذه الالام المحدودة، وبين« آلام التشوق الى ما وراء الانسانية» وآلام التطلع الى المجهول .

فالعقاد يواجه نظرة المنفلوطي الذاتية المحدودة بنظرته الفردية المثالية الرومانسية او العلوية الرومانسية غير المحدودة . وبالمثل يواجه المازني ذلك الانسان الباكي المستضعف الذي يمثله المنفلوطي بالشاعر الالماني «جوته» ذلك البطل الذي قرت عنده ثورة «كارليل» كما يقول ، ولا يحتاج الى بيان ان العقاد يتحدث من موقع التفرد وبعصبية النخبة المتعالية التي تحرص على بيان الحدود التي تفصلها عن الاخرين ، والتي تخشى الهبوط الى مدارك العامة واحاسيسها وشواغلها او قل انها تخشى ملامسة الواقع المتأخر « الوضيع » . ولم ينكف العقاد عن وصف عامة الناس « بالغوغاء » و « الدهماء » (٢) ، ولكن هذه في النهاية هي قضية العقاد ، ودراما المذهبية افرلديةالمتطرفة (٣) اذ كيف يستطيع الاديب والشاعر ان يحس ويشعر مع هذا الترفع ومع الخوف من ملامسة الواقع؟ فالانحصار في الذات وشموخ التفرد يؤديان بالضرورة ــ ان آجلا او عاجلا ــ الى تفريغ الذات من المحتوى ومن ثم الى اضرام نيران التعالي والتجبر ...

وقد نسب هذا الموقف عن حق الى نشأة العقاد وعصاميته وتكوينه انلفسي (٤) ، ولكن ايا كانت المتابع الذاتيةلهذا **التعالي العقادي** ، فانه يصدر ايضا في الاعماق عن شعور العجز ازاء الواقع المتأخر المتردي ، مثله في ذلك مثل **الاستيكاء المنفلوطي** ، ومن ثم كان الانكباب على **مملكة الادب في الحالتين** . ومن ثم كان « تمجيد الفن » واللغة كقيمة فوق الانسان ، وطغيان الادب في هذه الحقبة على ما عداه وتغلغله في الفكر السياسي والاجتماعي والتاريخي .

خيال الشيء ومصادر الادب

من مصادر تأثير الادب المنفلوطي الانسحاب الى عالم الشعور او الى الداخل . بل ان عالم الناس والاجتماع والواقع هو عند المنفلوطي من نتاج الوجدان وقوة الخيال خيال الشيء يسبق وجوده او هو سبب وجوده ؟ كما يقول في مقدمة « النظرات » :

اني ما كنت اكتب حقيقة غير مشوبة بخيال ، ولا خيال غير مرتكز على حقيقة ، لاني كنت اعلم ان الحقيقة المجردة من الخيال لا تأخذ من نفس السامع ماخذا ، ولا تترك في قلبه اثرا ، واحسب ان

السبب في ذلك ان اكثر ما تشتمل عليه النفوس من العقائد والمذاهب والاراء ــ والاخلاق ، والخواطر والتصورات ، انما هو اثر من آثار الخيالات الذهبية التي تتراءى في سماء الفكر ، ثم لا تزال بها الايام تكسوها طبقة بعد طبقة من غبار القدم حتى تصبح حقيقة من الحقائق الثابتة في الاذهان ..

وللخيال الاثر الاعظم في تكوين هذا المجتمع الانساني وتكييفه على الصورة التي يريدها ، فلولا **خيال الشعر** ما هاج الوجد في قلب العاشق ، ولولا **خيال الشرف** ما هلك الجندي في ساحة الحرب ، ولولا **خيال الذكرى** ما اخترعت المخترعات ، ولا ابتدعت المبتدعات ، ولولا **خيال الرحمة** ما عطف غني على فقير » .

(مقدمة « النظرات » ص١٤)

خيال الرحمة هو اذن سبب الرحمة ، كما ان خيال الشعر هو سبب الوجد والعشق . ومجمل القول ان خيال الشيء اجدى من الشيء ، ويعبر هذا القلب عن ذهنية تخيلية **تستوعب المجردات بصورة حسية وجدانية** . ومرجعها كظاهرة عامة في الادب العربي الحديث ذلك الانشقاق التاريخي الطويل بين الادب والواقع ، وبين اللغة والواقع انحلت منذ زمن طويل **الوحدة التي تجمع بين اللغة والادراك والخبرة** ، واصبح الادب في احسن الاحوال من وقع كتب الادب ونماذجه ، ومن ايحاء المعاني المتقادمة التي تحملها اللغة ، ومن الايهام الذاتي ، واضمحلت القدرة على **مواقعة عالم الحواس** ــ والواقع . ويرتبط بذلك او ان الوجه الاخر لذلك ، هو ان مجال مواقعة الواقع في المجتمع التقليدي محدود للغاية .

ويعبر بعض رواد الادب العربي في هذا القرن في كتاباتهم المتاخرة ــ وخاصة في تراجمهم الذاتية ــ عن هذه الصعوبة التي خبروها طويلا فمصادر « **حياة الاديب** » ، كما يصفها **طه حسين** عند مطلع القرن هي القراءة والتخيل وتوليد الانفعال الداخلي ،فهو يفكر كما يفكر الذي يقرأ آثارهم ويشعر كما يشعرون » . ويعيش عيشة الكتاب الاوائل في دخيلة نفسه ، وان لم يستطع ان يعيشها في الواقع،وهو اما ان يخترع موضوعات غزله اختراعا ، او يشبب في المذكر » .

(الايام ــ ط٢ ، ١٩٧٣ ، ص ١٦/١٧)

وعلى نحو مماثل يصف عبد القادر المازني في ترجمته الذاتية هذه التجربة ، ففي شبابه ــ كما يقول ــ لم يكن يتلقى « وقع الحياة » مباشرة وانما عن طريق الكتب : « كنت لهذا كالذي نومه غيره تنويما مغنطيسيا ، فرايه ، وشعوره ، وعاطفته ، وهواه ، وامله وخوفه ، وحبه وبغضه، ما يحدثه في نفسه ايحاء منومه»(قصة حياة بيروت١٩٧٥ ص ١١٩)وهو ينظم

الشعر ويتمثل الاحساس الذي يريد التعبير عنه . وينتهي الى الاعتقاد ان هذا هو الذي شعر به « حقيقة لا توهما » (المرجع السابق ص ١١٨/١١٩) وحتى لو صادفه « المحبوب » في الواقع فلم يكن يخطر له — كما يقول — حتى ان يتملى بحسن هذا المحبوب .

يكفي هذا للتدليل على ان طه حسين والمازني يشرحان هذا الانفصام ويعبران عنه في مرحلة متأخرة ؛ حين يراجعان الماضي ، اما المنفلوطي فانه يدرك جيدا هذا الانفصام بين الكلمة والخبرة ، ولكنه لا يعانيه كانفصام — انما يعيشه كطبيعته الحقيقية فارتباطه الاصلي بالكلمة **وبوساطة الكلمة وما** تنقله وما توحي به ، اما الخبرة المباشرة فلا تغريه ، بل تثقل عليه . او بتعبير اوضح : ان الكلمة قد نحت القدرة على التجربة وعن مواقعة عالم الحواس والواقع . واصبحت تسمية الشيء تغني عن الشيء .

يكتب المنفلوطي في « المؤيد » بتاريخ ٢٠ ابريل سنة ١٩٠٩ (٥) ، فيقول :

« اعجب ما اعرف من امر نفسي اني احب الجمال خيالا اكثر مما احبه حقيقة فيعجبني وصف الروض اكثر مما يعجبني مرآه ولا اطرب لمنظر الفتيات الجميلات طربي لمنظر القصائد الغزليات ،واحب ان اسمع وصف المدن الجميلة وان اقرا ما يكتبه الكاتبون عن رياضها ومنازلها وقصورها ودورها وسهولها وانهارها وجداولها وميادينها وتماثيلها واندیتها ومجامعها ولا احب ان اراها كاننني اريد ان استديم لنفسي تلك اللذة الخيالية واخافه ان تحول الحقيقة بيني وبينها » .

الى ان يقـــول :

« .. مثلي مثل ذلك الرجل الذي احب امراة فاستزارهـــا فمانعته حينا ، ثم زارته ،فلما رآها تركها وذهب لينـــام ، فعجبت لشانه ، وسألته ما باله ، فقال لها : اريد ان انام على ان « ارى طيفك في المنام » .

من الضروري ان نأخذ هذه الكلمات بمعناها الذي يحملـــه اطـــار الحديث .فالمنفلوطي لا يخشىان تفسد المتعة بمواقعها في الواقع ، لا يخشى ان اشبع الرغبة او واقع المراة ان يصيبه الملال وان تضيع اللذة ، وانما يفضل اساسا ان ياتي الطبيعة والجمال واللذة من خلال الكلمات والقصائد والتصور ، او هو يحتاج الى الخيال اللغوي لكي يطرق متع الحس . هذا هو ميدانها عند المنفلوطي ، وهنا يستطيع ان يحسها وان يتقمصها . الحب بهذا المعنى تصور ادبي او شاعري لا يرتبط بشخص محدد،لا يرتبط بالاخر او بذات خارجية وانما هو لون من الانشقاق الداخلي والملامسة الذاتيـــة والافتتان الذاتي . وبديهي ان لا سبيل الى ان يصل هذا الحب الى غايته،

لا سبيل الى تحقيق هذا الحب ، وانما طريق هذا الحب هو الاحباط ، او قل — على الرغم ما قد يبدو في التعبير من تناقض — انه ، **يتحقق في الاخفاق والحرمان ، في التعاسة والبكاء ، وبالمثل في نشوة الاعلاء والرثاء الذاتي** (هذه هي المعاني المتوارثة التي تحيط بالحب) وما يصدق عن الحب يطبق — كما سنرى — على جميع ما يعرض له المنفلوطي من مواقف ، سواء منها المواقف التي يصفها والمواقف التي ينقلها او يترجمها عن الادب الفرنسي .

جمهور القراء وحاجاته التعبيرية

يحدد المنفلوطي قراءة الذين يخاطبهم في « نظراته » و « عبراته » ، فهم « عامة القراء » او جمهور القراء في عصره ، وليسوا الخاصة او الصفوة ، ويحصل مصطلح « عامة القراء » مضمونا طبقيا واضحا ، ومن الصفات التي ينسبها او يفترضها المنفلوطي في قرائه :

« سلامة الفطرة وصفاء القلب وسلامة الوجدان ، وجميعها صفات نفسية داخلية » (النظرات ٢/٥٨) .

وتدهشنا احيانا احاديث المنفلوطي بما تحمل من وعي كبير بما يمارس وبطبيعة الصلة بينه وبين قرائه . ويبدو وكأنه يعي ان ادبه يقوم على تراث سلبي مشترك بينه وبين المتلقي ، الا وهو ضعف القدرة على مواجهة عالم الحواس والواقع ، وعلى اعلاء هذا الضعف والتعويض عنده . وايا كان الامر فبدون هذا التراث ما كان للمنفلوطي ان يجد هذا الذيوع والنجاح في العالم العربي من مشرقة الى مغربه .

ويتجسم هذا الضعف ويطفو الى الشعور والى الوعي ايضا اولا في ظل المجتمع المستعمر المفتوح للغرب ، وفي ظل اقتحام المدنية الغربية المفتوحة للمجتمع التقليدي .

ويتجسم شعور الضعف هذا على التحديد عند الفئات الوسطى الصغيرة التي لا تملك من امرها شيئا والتي تعيش دون تأثير على مجريات الامور . تنمو هذه الفئات في المدن بفضل المدارس الجديدة وبفضل التوسع في الجهاز الاداري وفي قطاع الخدمات . ارتفعت هذه الفئات بدرجة او اخرى عن عامة الناس ، واصبحت تتميز بفضل ما حصلته من قدر من التعليم ، على تفاوت هذه القدر ، ولكنها لم ترتفع الى حيث تشعر بارادتها او تعبر عن وعي مشترك . فقد اوصد الاقتصاد الاستعماري المتحالف مع الاقطاع امامها ابواب الصعود والتحرر وعاشت تفصلها عن ارباب الامور واصحاب السلطة هوة رهيبة .

وتتطلع هذه البورجوازية الصغيرة الى « التحرر » من قيود المجتمع التقليدي ، والى « السفور » بالمعنى العام الشامل ، الى الظهور على مسرح الحياة والاحداث والى مواقعة الحياة والتعبير عن الذات والى اشباع المشاعر الفردية المتفتحة ، ولكنها جميعا تطلعات لا سبيل الى تحقيقها تحت ظروف التأخر والاستعمار وقيود الموروث . فهي تطلعات دون اساس مادي اقتصادي ، ودون ارتباط سياسي واضح . ودون تراث او مفهوم تحرري واضح . فمن موقع العزلة والفردية ، ومن الاعماق الذاتية المبهمة في مجتمع طبقي صارم ، في مجتمع تحكمه ذهنية طبقية متأخرة ، تتطلع هذه البورجوازية الصغيرة الى تحقيق آمالها . هذا الى ان واقع فئة ضخمة منها ، وهي فئة الموظفين والمستخدمين هو الخضوع المباشر او غير المباشر للسلطة الاجنبية .

التغيير الحضاري ونشأة الادب المنفلوطي

نشأ « الادب المنفلوطي » كاستجابة لصدمة التغيير وللمؤثرات الغربية الجديدة في المجتمع المصري ، ويصور المنفلوطي كيف نبع ادبه من شعور التعاون بين الظاهر والباطن الناتج عن التغيير الحضاري ، عن تغير طرق الحياة واساليب التعامل المألوفة . (« رايت ضلال الاسماء عن مسمياتها وحيرة مسمياتها بينها ، واضطراب الحدود والتعاريف عن اماكنها » . النظرات ١/٢١) وتبدو له السلوكيات الجديدة والاساليب الحضارية والمؤسسات المستحدثة عالم تكرا « مقلوب » وظاهر دون حقيقة (كانما خيل الى — لقرب عهدي بما ارى — انني ارى شيئا عجبا او منظرا غريبا . . » النظرات ١/٢٣) .

ويستجيب المنفلوطي لهذا الموقف ، معبرا عن شعور « الفقدان » ، وعن قلق جمهور الناس الذي يعاني التعبير او « التحديث » الحاصل ، دون ان يملك له دفعا ، ودون ان يشارك فيه :

« فأرسلت الكلمة اثر الكلمة كما يتنفس المتنفس او ينن الحزين ، فقرا ذلك بعض الناس ، فسموا ما راوه كلاما ، ثم ما زالوا يستحسنون ما اقول ويغرونني بأمثاله ، وما زلت اطمع فيهم ، وارجو ان اصيب ما في نفوسهم ، حتى سموني كاتبا » .

« النظرات » ١/٢٣

الرحلة الى الداخل في مواجهـــة المدنية الغربيـــة

تعبر المنفلوطية عن موقف من « المدنية الغربية » ، ومجمله ان«الشرق شرق والغرب غرب» .

ونستطيع ان نصف هذا الموقف بانه موقف شعوري نفسي ، ينبع من شعور التهديد والفقدان والقلق ، اكثر منه موقف عقلاني يقوم على التحليل والمعرفة والقدرة . هو موقف تخوف ورفض واستسلام في نفس الوقت ، وحنين الى الائتلاف وشفاء النفس .

ويكرس المنفلوطي احدى نظراته لهذا الموضوع تحت عنوان «المدنية الغربية » (النظرات ١/١٣٢) وقد يدهش القارىء بعض فقرات هـذا المقال ، قد يدهش من تلك الاوصاف التي ينسبها المنفلوطي الى الانسـان المصري ، ولكنه في الواقع ــ كما تشير الشواهد ــ انما يعكس موقفا مزاجيا وتقييما شائعا في تلك الفترة (٦) . وهذه على اي حال **صـورة المنفلوطي عن المجتمع اذ ذاك ، الصورة التي يكتب في اطارها «نظراته» و «عبراته »** .

يقول المنفلوطي انه سيترك في هذه النظرة الخيال والشعر جانبـا فالموضوع الذي هو بصدده اعظم شانا واجل خطرا :

« الامة المصرية امة مسلمة شرقية ، فيجب ان يبقى لها دينها وشرقيتها ما جرى نيلها في ارضها ، وذهبت اهرامها في سمائها ، حتى تبدل الارض غير الارض والسموات .

ان خطوة واحدة يخطوها المصري الى الغرب تدني اليه اجله ،وتدنيه من مهوى سحيق يقبر فيه قبرا لا حياة له من بعده الى يوم يبعثون .

لا يستطيع المصري وهو ذلك الضعيف المستسلم ان يكون من المدنية الغربية ان داناها الا كالغربال من دقيق الخبز ، يمسك خشاءه ويفلت لبابه ، او الراووق (المصفاة) من الخمر ، يحتفظ بعقاره ، ويستهين برحيقه ، فخير له ان يتجنبها جهده ، وان يفرمنها فرار السليم من الاجرب » .

والمصري في تقليده للغرب ــ كما يذهب المنفلوطي ــ يتعثر على الدوام ، تنقلب في يده فضائل الغرب « صورة مشوهة » ، اما رذائلـه فياخذها كما هي ، « فينتحر كما ينتحر الغربي ، ويلحد كما يلحد . .»ويحذر المنفلوطي كتاب الامة وقادتها الا يخدعوا امتهم عن نفسها والا يفسـدوا عليها دينها وشرقيتها ، ولا يزينوا لها تلك المدنية تزيينا يرزؤها **في استقلالها النفسي** ، بعدما رزاتها السياسة **في استقلالها الشخصي** » . (النظرات ١/١٣٦).



المنفلوطي

والعبارة الاخيرة تلمس لب القضية المنفلوطية . لم يبق للشرقي غير « شرقيته » فليحتمي بها ، فليأخذ الى اطره الذهنية وانفعالاته النفسية المتوارثة ، بعد ان فجمه العالم الغربي فيها عداها . ومن جديد نلمس مدى فهم المنفلوطي لما يأتيه على الرغم من ضعف منطقه ، اذ كيف يستطيع المصري وهو ما هو عليه من استكانة وضعف ، ان ينجو من اخطار «المدنية الغربية » ؟ كيف له ان يحتفظ « باستقلاله النفسي » وهو واقع في القبعية ، وهو يعيش في التبعية ؟ ولكن هذه الاسئلة لا محل لها ، فهي تفترض دون اساس ان المنفلوطية تقوم على المعرفة والعقلانية والخبرة والتاريخ ، في حين انها — وهذا هو مصدر نجاحها واستمرارها كنسق متكرر تقوم على تغذية الاطر الذهنية والنفسية التي ترفض العقلانية والمعرفة والخبرة التاريخية ، التي ترفض بتعبير مختصر اجهاد الفكر وتزدري الامور الصعبة المواجهة التي يقترحها المنفلوطي ازاء « المدنية الغربية » — تكون بالمحافظة على ما يسميه « الاستقلال النفسي » ، او بتعبير متطرف ، بالتدليل الذاتي للنفس والغير . فالمنفلوطي يقترح « المنفلوطية » (او «ايديولوجية «الانسان كنفس شعرية) كرد او جواب على تحد « المدنية الغربية » .

ومع ذلك فهذا النقد ليس كل الحق . فهذا الموقف المنفلوطي رغم ضحالته يعبر عن الحاجة الى تاكيد الذات (او ما يمكن تجاوزا تسميته بـ « الهوية الذاتية ») في وجه الاستعمار والتبعية . والغموض والضحالة في موقف المنفلوطي ينبعان من غموض الهوية الذاتية وضحالتها في هذه المرحلة التاريخية الانتقالية السابقة على ثورة ١٩١٩ في مصر . لم يوجد بعد الاطار السياسي والاقتصادي والفكري الذي يمكن أن تتضح فيه معالم هذه الهوية او الشخصية الذاتية ، وستظل هذه قضية الطبقات الوسطى والصغيرة لعقود تالية : على الرغم مما اوردناه من قبل ، فليس من الغريب أن يقول لك المنفلوطي في مقاله عن « المدنية الغربية » انه « لا مانع من أن يعرب لنا المعربون المفيد النافع من مؤلفات علماء الغرب ، والجيد الممتع من ادب كتابهم وشعرائهم ، على ان ننظر فيه نظر الباحث المنقد لا الضعيف المستسلم ، فلا نأخذ كل قضية مسلمة ، ولا نطرب لكل معنى ادنى طربا متهورا .. »

(النظرات ١/١٣٦)

هكذا نرى كيف ان مطالب « الاستقلال النفسي » عسير . لم يعرف المنفلوطي لغة اجنبية وعلى الرغم من ذلك وجد من البواعث ما دفعه الى استخدام الوسطاء والى الاستعانة « بترجمات خام » لينشيء منها قصة ، اضطر الى استعارة خبرات الغير لكي يصنع منها كتبه الشهيرة . لم يستمر هذه الخبرة الا بسبب الحاجة ، بسبب الفقر ، بسبب توقف مجتمعه منذ زمن عن صنع الخبرة وقد سبق واوضحنا كيف هزلت القدرة على الخبرة المباشرة . وغني عن البيان ان المنفلوطي لم يستهدف بمنقولاته تعريفنا « بعيون الادب الغربي » او ما شابه ، فلم يكن يعرف من اللغات غير العربية .

الحياة الشعرية

ويعبر المنفلوطي في بعض اقواله عن الفلسفة التي يصدر عنها ادبه ، فيقول في مقدمة كتاب « العبرات » :

« الاشقياء في الدنيا كثيرة وليس في استطاعة بائس مثلي ان يمحو شيئا من بؤسهم وشقائهم ، فلا اقل من ان اسكب بين ايديهم هذه العبرات ، علهم يجدون في ندائي عليهم تعزية وسلوى » .

(اهداء « العبرات »)

ومجمل النظرة او الرؤية التي يصدر عنها الادب المنفلوطي هي ان الدنيا دار شقاء وآلام ، وليس من شفاء او عزاء الا « الحياة الشعرية »

كما يعنون احدى مقالاته . على ان المنفلوطي يقلب ـــ كالمألوف ـــ هـــذا المنظور راسا على عقب . فيقول انه انما يعيش من اجل «الحياة الشعرية» ومن اجلها فحسب يحتمل « الحياة الحسية بمر مذاقها » ؛ بل هو يقول لك ان سر ولع الكثيرين بالخمر والحشيش والافيون هو حبهم للحياة الشعرية. ولولا ذلك لكفوا :

« لولا حب الحياة الشعرية ما وجد في الناس كثير من المولعين بتخدير اعصابهم كشاربي الخمر ومدخني الحشيش وآكلي الافيون .

لولا الحياة الشعرية التي يحياهـــا الناس احيانـــا لسمج في نظرهم وجه الحياة الحسية ومر مذاقها في افواههم ، حتى ما اغتبط حي بنعمة العيش ... »

(النظرات ٢/ص ١٦٢)

وافتتان المنفلوطي « بالحياة الشعرية » او بما يسميه كذلك افتتان عارم متطرف فلو حيل دونه و « الحياة الشعرية » لتغنى ـــ كما يقول ـــ ان يزول العالم وان تفنى الحياة .

« والحق اقول ، لولا الحياة الشعرية التي احياها احيانا في هـــذه الكلمات التي اكتبها لاحببت، زاهدا في هذه الحياة الحسية ، ان تطلع الشمس من مغربها ايذانا بانقضاء العالم وفنائه ، ولتمنيت حبا في الانتقال من حال الى حال ان انتقل ولو الى رحمة الله » .

(النظرات ٢/ص ١٦٥)

تتفق ايديولوجية « الانسان » كنفس شاعرة او « شعرية » (بلغة المنفلوطي) مع غموض شخصية المواطن الصغير وحاجته الى الشعور بذاته او تأكيد ذاتيته في نفس الان .

فهذا المواطن المنفلوطي ينأى بنفسه عن السياسة ، « قبحها الله » كما يقول حافظ ابراهيم ، بل هو ـــ بمقتضى خبرته التاريخية ـــ يشـــعر بنفور ورهبة من هذا الميدان « الكريه » والمنفلوطي على اي حال يفرق بين الدعوة الى الفضيلة وبين الكيان الاجتماعي الاقتصادي والسياسي الذي يعيش فيه المرء ، ويفصل بين الانسان كبنية شعورية اخلاقية ، وبنيـــة تعيش في المجتمع . فمن معالم الذهنية المنفلوطية رؤية الاشياء منفصلة عن اصولها ومسبباتها وعن العلاقات التي تربطها وتحدها ، ويفصل المنفلوطي ما سبق في مقال يصطنع فيه الرد على سؤال سائل عن اسباب امتناعه عن « السياسة » ولماذا يضيق قلمه بالسياسة .

« يعلم الله اني ابغض السياسة واعلها بغضي للكذب والغش ، والخيانة والغدر » . (النظرات ٢/٧١) .



المنفلوطي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فالسياسي في هذا المقال هو نظير « الجلاد » والسفاح والمرائي، والمخاطل ..... الخ .

ويمضي المنفلوطي في حديثه الى ان يهتف متسائلا :

« ... فهل تظن يا سيدي ان رجلا نصب نفسه لخدمة الحقيقة ، ومناصرتها على الباطل ، واستنفاذ الفضيلة من مخالب الرذيلة ، ووقف قلمه على تهذيب النفوس وترقية الاخلاق ... وملأ في رسائله فضاء الارض والسماء بكاء على الضعفاء والمساكين والمظلومين والمضطهدين ، يستطيع ان يكون سياسيا او محاسبا للسياسيين » (٧) . (النظرات ٢/٧٣)

ونفس المنفلوطي يتساءل في يأس في احدى نظراته « اين الفضيلة » فقد فتش عنها في كل مكان ، في الحوانيت والمجالس والقصور ، عند الساسة وبين رجال الدين .. فما وجد اليها سبيلا :

« اني لا انكر وجود الفضيلة ، ولكني اجهل مكانها ... »

وقد ثقلت عليه الرذيلة حتى ود ان يهرب من عالم الانسان الى عالم الحيوان وان يقول مع القائل :

« عوى الذئب فاستأنست بالذئب اذ عوى
وصوت انسان فكدت اطـــــير »

(النظرات ١/٦٤)

وليس هذا من التناقض في شيء ، فهذا هو المنطق الحتمي للنظر الى الانسان كبنية شعورية أو « شعرية » مجردة واسقاط الانسان كبنيـــة اجتماعية ، هذه هي الحتمية المنفلوطية في الماضي والحاضر .

ولكن ما هي هذه « الحياة الشعرية » التي يعيش من اجلها المنفلوطي؟ هي حياته في الادب ، كمنشىء وقارىء مع بؤس البؤساء وشقاء الاشقياء، مع شعر الافئدة الكليمة ومع دموع الباكين ، ففي هذه اللحظات يجتمع — كما يرى — الجمال والصدق ، وتكون النشوة وشفاء النفس .

(١) يميز هذا بوجه عام مرحلة تطور الشعر بعد شوقي وقد ظل « للشعر » بهذا المعنى الشعوري سحره وجاذبيته حتى عند جيل الادباء الاوسط في هذا القرن الذي لم يكتب الشعر وانما اتجه الى الاشكال الادبية الاخرى .

(٢) صلاح عبد الصبور : « ماذا يبقى لهم » ، القاهرة ١٩٦٨ ص ٧٨ .

(٣) انظر شكري محمد عياد : اصول النظرية الفردية عند العقاد الناقد في « الرؤيـــا المقيدة » ، القاهرة ١٩٧٨ ، ص ٦٢ — ٧٠ .

زكي نجيب محمود : العقاد كما عرفته في
المجلة « العدد ٩٨ ، مايو ١٩٦٤ ص ٤ — ١٠ »

(٤) زكي نجيب محمود ، المرجع السابق ، ص ٩

صلاح عبد الصبور ، ماذا يبقى لهم ، ص ٣٨ .

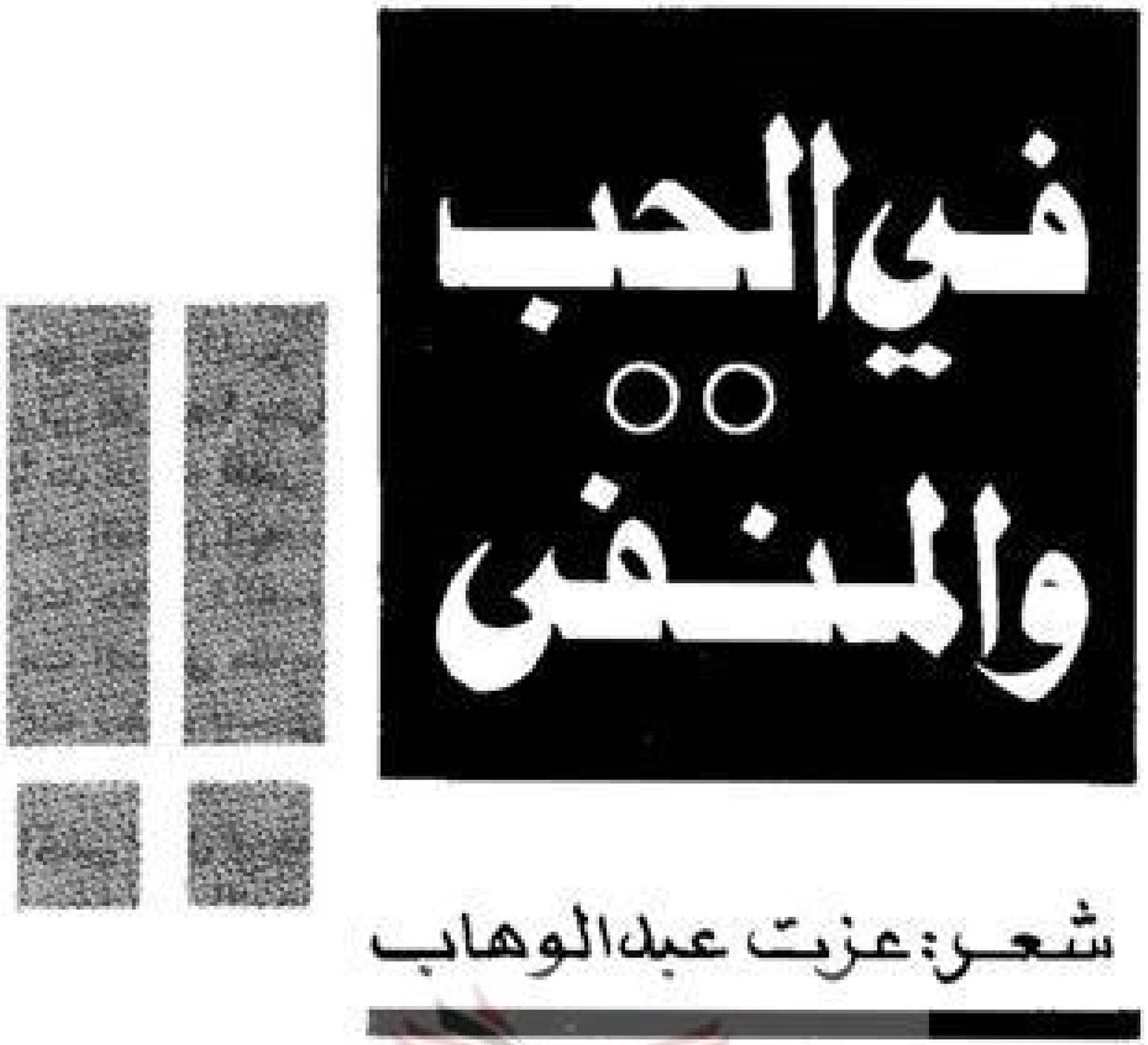
رجاء النقاش ، عباس العقاد بين اليمين واليسار ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ٢

(٥) هذا المثال مطبوع ايضا في ملحق كتاب « بلاغة العرب » تعريب محمد كامل حجاج ، الجزء الثاني — القاهرة ١٩٢٢ ص ٢٣٧ — ٢٤٢ .

(٦) من المؤشرات موضوعات الكتب المقروءة والموضوعة منذ مطلع القرن ، ومن عناوينها المتواترة : البؤساء (فكتور هوجو) الليالي (الفريد دي موسيه) ثم « ليالي الروح الحائرة ، وليالي سطيح »« الايتام » ، « الاجنحة المكسرة » ، والمساكين ..

(٧) لعقود تالية تستمر « السياسة » موضع ريبة وتخوف ومصدر بلاء ، وبهذا المعنى يكتب توفيق الحكيم عام ١٩٣٧ بعنوان « هستيريا السياسة » في « تحت شمس الفكر » ١٩٣٨ ، ص ١٤٤/١٤٥ .

★★★



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن عينيك كان البدء ، كنت انا
وكان الضوء ، كان الكون ، كان الخلد ، كان العمر لا يفنى
ولما جاءني الطاغوت يأمرني ، وينهاني عن العينين — ياعيني —
قلت ساهزم الملكوت
ولو كانوا يريدون الهزيمة سيفي المسنون يهواهم
ولو كانوا أرادوا الموت عندى السر من « عزريل » .
وجاءوني بفرسان مشرعة السيوف على اسنتها يكون البرق
تضوى مثل قرص الشمس
وبعد الكر فر كبيرهم مني
ومذعورا تاوه قال : « اني ارتعت من عينيه — كان بريقها أقوى من الانسان »
ولم يعرف بان السر كان شعاعها الممدود من عينيك .

●

ولمـــا كان ان علمـــوا
وكان قرارهم بالنفي بعد البحث والتجريب
رايتك في ليالي البعد اشهى من ليالي القرب
وكانت زادى الغربة
انادمها بكائى المـــر
تخيرنى بان احيا بحرقتها ولوعتها ولا انسى الذي كناه ــ
منها قد عرفت السر :
عرفت العشق لايفنـــى
عرفت حلاوة المنفـــى
عرفت العشق منتصبا بلا ابعاد
عرفت سناك يسحق رهبة الديجـــور •

ــ ٢ ــ

في المنفى ارحل في بيداء الغربة ، تخدشنى عيناك اتمتم :
يا حبى الاوحد سوف اتـــم الدورة
ما مات المنفي اذا ما حاول ان يرجع لبريق العينين ــ اعاد الكرة
ما مات المنفي اذا لم يفرق في وهم الخوف واعطى ــ منسحقا ــ للمارد
ظهره •

ــ ٣ ــ

يا حياتي
اساليني كم طهى الطاغوت جلدى كيف عباه خناجر
غريوني في دهاليز الدياجر
حاولوا ان يقتلوا في القرائات ــ المشاعر
حاولوا ان يخدعوني بانقسامات الدوائر
ولأن روحك لم تهاجر •• يا حياتي
ساظل في عينيك ــ مبهورا ــ اسافر

ــ ٤ ــ

« اذا السماء انفطرت ،
واذا الكواكب انتثرت ،
واذا البحار فجـــرت ،
واذا القبور بعثرت » ،
رأى الذي اراد ان يموت عشقنا ،
وقال ان حتفه دنا :
لحونه التي يصيغها هوت

فبرغم ان لفحة التخويف قد توسعت
نبوءة الطاغوت ما تحققت
اسودنا ما استفوقت
وما تزال ضحكتي وما انطوت
وذلك البريق ما انطفا ولا ،
عيوننا تلونت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الثعلب الأسود

ترجمة : احمد نجيب عودي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عرفت منذ نعومة اظفاري بلـــين الجانب ، انساني الطباع، طيب القلب ومصدر للفرح والسرور لاصدقائي ، كنت شغوفا بالاعتناء بالحيوانـــات الاليفة وميزني اهلي بتلك الهواية . لم اعرف طعم السعادة الاعندما اقضي الوقت باطعام وملاطفة الحيوانات . رافقتني هذه الميزة حتى غدت مصدرا لسعادتي . وغذيت هذا الحب بتربية كلب وديع . ولكني اشعر بالضيـــق والحرج عندما اضطر احيانا لشرح طبيعة الثواب الذي اتوخاه . ان في حب الحيوان المخلص والايثاري شيئا ما يدخل القلب سريعا ولكنه كثيرا ما يحتاج الى دليل لاثبات هذه الصداقة البسيطة والاخلاص الحقيقي للانسان .

تزوجت مبكرا . وكم كانت سعادتي عندما وجدت نفس الطباع في زوجتي لحب الحيوانات . لم تكن لتأل جهدا في الحصول عليها . وهكذا ربينا العصافير وسمك المرجان وكلبا لطيفا وارانب وسعدانا صغيرا وقطا .

كان القط كبيرا نوعا ما ، اسودا جميلا مميز الشكل ذكيا . وكانت زوجتي في داخل نفسها تصبغ عليه احيانا من الخرافات والافكار الشعبية القديمة وتقول ان القطط السوداء هي ساحرات متنكرات ، لم تكن جدية في الامر . اما انا فلم اتحدث به مطلقا لئلا يرسخ في الذاكرة .

كان بلوتو — هكذا سميناه — محبوبا مفضلا ورفيقي في اللعب ، وكنت احرص على اطعامه بنفسي . وكان يتبعني في البيت وبصعوبة كبيرة امنعه من ملاحقتي الى الشارع.

دامت صداقتنا على هذا الحال سنوات عديدة ، وقد تغير سلوكي ومزاجي الى الاسوا ، ويوما بعد يوم اصبحت اشد كآبة واسرع تهيجا واقل اهتماما بشعور الاخرين . وكم اصبحت اشكو من استعمال لغة السكارى مع زوجتي التي كثيرا ما كانت تتعرض لاهاناتي الشخصية ، كذلك الحيوانات بدات تشعر بتغيير سلوكي ، لم اهملهم بل اصبحت اقل اهتماما بهم ، اما بلوتو فكنت احفظ له اعتبارا مميزا واعامله بلطف تماما بعكس المعاملة القاسية للارانب والسعدان وحتى الكلب الذي كان يعترض طريقي لمداعبته . اشتد المرض بي — وكم هو مرض شرب الكحول رهيبا — حتى بلوتو الذي كبر واصبح شكسا نوعا ما واخذ يلاحظ نتائج سوء طباعي .

وذات ليلة عدت ثملا الى البيت . تصورت ان القط تجنب وجودي . قبضت عليه . ارتعش من عنف القبضة وخدشني بظاهر يدي خدشا بسيطا بانيابه . وسرعان ما تملكني غضب عفريت . لم اعد اعرف ذاتي وكان نزعة الخير فارقت جسدي بسرعة وصعدت الى السماء ، فارتعشت خلايا جسمي وتملكني حقد كل العفاريت . سحبت سكينة صغيرة من وسطي وفتحتها وقبضت عليه من عنقه وقلعت احدى عينيه . احمر وجهي ارتباكا واخذت ارتجف وانا اقوم بهذا العمل المشين .

في الصباح عدت الى صوابي فاحسست بالرهبة وتانيب الضمير للجريمة التي ارتكبتها . . كان شعورا غامضا غير محدد ، اما الروح فما زالت نقية طاهرة . ولكني انجرفت ثانية في الافراط بشرب الخمر محاولا نسيان الجريمة .

استعاد القط عافيته وحركته ولكن ثغرة عينه المقلوعة كانت في الواقع تثير منظرا رهيبا رغم انه لم يعد يشكو من الالم . وعاد يتجول في البيت كعادته ولكنه كان يهرب مذعورا عندما اقترب منه . ما زلت اشعر بالعطف عليه واحزن بمجرد النظر اليه عندما اتذكر ذلك العمل البغيض للحيوان الذي احبني مرة . ولكن هذا الشعور تغير وحل محله شعور التهيج والاضطراب الذي ما فتىء ان تلاشى امام دوافع الانحراف الاساسية الكامنة في قلب الانسان وبالتالي من الغرائز الرئيسية ذات المقدرة القوية في توجيه سلوك الانسان . من منا

لم يرتكب شرا او عملا احمقا لا لسبب غير اننا نجهل عملا سواه ! اوليس لدى كل منا ميلا ابديا في انتهاك حرمة القانون ، نحاول بعدها انتزاع البراءة من براثن العدل لاننا فقط مهمنا ذلك العمل بهذا الشكل !

لقد كان هذا الانحراف السبب في سقوطي النهائي والاخير : تلك الرغبة في النفس التي لا يسبر غورها مني اغاظة ذاتها بذاتها او القيام بعمل عنيف مناقض لطبيعتها ;و الوقوع بالخطأ لمجرد الخطأ ، الامر الذي استحقني اخيرا لاستكمال الاذى الذي اوقعته بالحيوان الذي لم يسيء الى احد قط .

وصباح يوم طوقت عنقه بجنزير وعلقته الى جذع شجرة عن سابق عمد واصرار . علقته والدموع تنساب من عيني ، والضمير الحاد يؤنبني ويشتد في ثنايا قلبي ، علقته وشنقته لا لشيء الا لانه احبني ولم يؤذني .

كنت على يقين انني ارتكب اثما رهيبا واعرض النفس الخالدة لخطر وشر مستطير .

وفي ذات الليلة اوقظت من نومي على حريق شب في البيت وقد امتدت النار الى ستائر الغرفة . كان البيت يشتعل . وبصعوبة بالغة استطعنا انا وزوجتي والخادمة ان ننجو بجلدنا من الحريق . كان الدمار شاملا واتت النار على كل ثروتي واصبحت بائسا تعيسا .

حاولت رغم الضعف ان اجد العلاقة بين المصيبة وذلك العمل الملعون الذي قمت به وايجاد سلسلة الحقائق دون ترك اية حلقة مفقودة بينهما . لقد تداعت الحيطان كلها الا حائطا واحدا . انه حائط غرفتي لم يكن سميكا . ما زال يقف وسط البيت حيث يرتكز راس سريري . لقد قاوم الحائط عنف النار لانه رمم حديثا . تجمع حوله جمهرة من الناس واخذ كثير منهم يتفحص اجزاءه بدقة ورغبة وشوق . وقد اثار في الفضول كلمات « غريب » و« غريد » . اقتربت ورايت شكل قط كبير نقش على الحائط الابيض كان النقش دقيقا بشكل متناهي والحبل يحيط بعنق القط .

عندما رايت هذا الطيف ازددت خوفا وفزعا . لكن سرعان ما بدات افكر واتذكر . اذكر انني علقت القط في الحديقة بجوار البيت . اكتظت الحديقة بالناس وقت الحريق . ولربما قام رجل من جراء خوفه من النار بقطعه من الشجرة ورماه خلال النافذة المفتوحة في غرفتي ليوقظني من النوم ان سقوط وتداعي الجدران يضغط على قلبي القاسي . ان الطبقة التي كسي بها الجدار مؤخرا والجير والنار ونسادر الجت قد هيأوا معا هذا النقش الذي اراه .

رغم ذلك استعدت قدراتي العقلية وقوة ضميري لتلك الحقيقة المذهلة التي لم تكن لتضعف التاثير على خيالي العميق . ولشهور عدة لم استطع ان انخلص من شبح القط ، وقد عاودني شعور عاطفي كانه تقريع الضمير . كم حزنت على فراق هذا الحيوان

وفتشت الاماكن الفاسدة التي تعودت زيارتها على حيوان اخر من نفس الفصيلة والشكل لاعوضه مكانه .

وذات ليلة بينما كنت اجلس مذهولا يطاردني ضجيج العار وسوء السمعة لفت نظري شبح اسود يقف على راس برميل كبير من الخمر يشكل اكبر قطعة اثاث في المنزل . ركزت نظري لبضع دقائق على قمة البرميل . اقتربت منه . لمسته بيدي .. انه قط اسود كبير يشبه بلوتو في كثير من النواحي الا واحدة : لم يكن لبلوتو شعر ابيض على جسمه بينما هذا له منطقة من الشعر الابيض في صدره .

ما ان لمسته حتى نهض بسرعة وبدا يهوء ويحك يدي . بدا مسرورا باهتمامي به . انه الحيوان الذي ابحث عنه . عرضت ان ان اشتريه، ولكن الرجل لم يدع ملكيته ، ولا يعرف عنه شيئا ولم يكن رآه من قبل .

اكملت ملاطفتي له ، ولما هممت بالعودة الى البيت ، تصرف وكأنه يريد مرافقتي ، سمحت له وفي الطريق كثيرا ما كنت احني ظهري لاداعبه . ولما وصلنا البيت دجن نفسه بسرعة واصبح محبوبا ومفضلا عند زوجتي .

... بدات اشعر بكره له بين جوانبي . لم اعرف كيف ولماذا ؟ انه بعكس ما كنت اتوقع .. واخذ هذا الشعور يزعجني ويتحول ببطء الى كراهية شديدة . وبدات اتحاشاه مخجولا .. ان العمل البشع السابق منعني من ضربه . ومضت اسابيع دون ضربه او اساءة معاملته .

وتدريجيا بدات اكرهه كرها شديدا واهرب بهدوء من وجوده الكريه كمن يهرب من مرض معد .

ومما زاد في كراهيتي له انني اكتشفت صباح ذلك اليوم الذي احضرته الى البيت انه يشبه بلوتو في ان احدى عينيه مقلوعة ايضا . رغم ذلك فقد حببته الى زوجتي واسررت لها انه على درجة عالية من الشعور « الانساني » ، هذا الشعور الذي كان يوما ما مصدر سعادتي النقية المتواضعة .

ومهما يكن فان ولعه بي يزداد ويقوى . انه يتابع خطواتي باستمرار بشكل يصعب على القارىء تصورها . اذا ما جلست ، يجثم تحت الكرسي او يقفز على ركبتي يزعجني بمداعبته المكروهة . واذا ما نهضت ، يمشي بين اقدامي وكثيرا ما كنت اتعثر على الارض بسببه ، يقفز احيانا على صدري . كم كنت ارغب بتحطيم راسه بضربة ولكني سرعان ما اتراجع متذكرا جريمتي السابقة . اصبحت في الحقيقة ارهب هذا الحيوان لدرجة متناهية . لم يكن خوفا من شر جسماني ولكني لم اجد غير هذا التعبير . واصبحت اخجل من نفسي عندما يمتلكني الرعب منه لانه اشبه بفزع من الكمير (١) . واكثر من مرة لفتت زوجتي نظري الى تلك العلامة المتمايزة من الشعر الابيض — التي تكلمت عنها — والتي تشكل الفارق الوحيد بينه وبين ذلك الحيوان الذي حطمته . ورغم ان هذه العلامة

كانت كبيرة ـــ يتذكر القارىء ـــ وغير محددة فقد قادت بالتدريج لتفصيلات مميزة . واصبحت اقشعر من ذكره ، بل اكثر من ذلك افزع منه واتمنى الخلاص من هذا الغول ! انه شبح المشنقة الرهيبوالمرعب ، انه سكرة الموت . . .

لقد كنت تعيسا بتعاسة البشرية . ان هذا الحيوان البهيميوالذي حطمت رفيقه بحقد ، يسبب لي رعبا شديدا غير محتمل . يا للخسارة ! لم اعد اعرف طعم الراحة في الليل ولا في النهار . لم يتركني ذلك الحيوان اثناء وجودي لحظة واحدة . اما هذا فقد بدات اشعر بزفراته الساخنة على وجهي ، ووزنه الكبير يجثم كالكابوس ضاغطا باستمرار على قلبي ولا املك القدرة على زحزحته .

وتحت ضغط الالام والعذاب استسلمت بقايا الخير المنهوكة في نفسي للافكار السيئة لتصبح صديقتي الحميمة ـــ الافكار الشريرة السوداء. وازدادت كراهيتي للاشياء كلها وللجنس البشري ايضا . وبينما كانت الانفجارات المتلاحقة والمتكررة والمتعذر ضبطها من الغضب تتفاعل في راسي والتي اصبحت اسيرا لها ، كانت زوجتي ـــ لله درها ـــ صابرة صبورة متحملة .

وذات يوم رافقتني زوجتي الى قبو المبنى القديم الذي اجبرنا الفقر ان نسكنه . تبعني القط الى درج القبو المنحدر وكاد ان يقلبني على ظهري فافقدني ذلك صوابي . رفعت الفاس ناسيا خوف الاطفال في نفسي وصوبت وانا متهيج ضربة كانت ستقضي عليه لو انها اصابته كما كنت اشتهي؟ ولكن زوجتي حجزت الضربة بيدها مما اثار في تدخلها الغضب الحانق وكان بي مس من الجنون فسحبت ذراعي من قبضتها ودفنت الضربة في راسها . سقطت ميتة لا حراك فيها في الحال دون تؤدة .

تمت هذه الجريمة سرا . بدات افكر عمليا كيف اخفي الجثة . لا استطيع نقلها خارج البيت في الليل ولا في النهار مخافة ان يشاهدني الجيران . روادتني افكار ومشاريع مختلفة . فكرت في تقطيع الجسد قطعا صغيرة ثم حرقها بالنار . فكرت في حفر قبر لها داخل القبو او في رميها في البئر في الحديقة بعد وضعها في صندوق كانما هي بضاعة للتجارة بعد ان استدعي حمالا لنقلها خارج البيت .

واخيرا وجدت طريقة افضل مما سبق . قررت ان احيط الجثة بسور في القبو تماما كما كان يفعل الرهبان بضحاياهم في العصور الوسطى !

لقد كان القبو مهيئا لهذا العمل ، فجدرانه غير محكمة البناء وقد طليت بطبقة خشنة لم تجف بعد بسبب رطوبة الجو في القبو . وفي احد الجدران نتوء بارز لمدخنة سرية او ربما موقد نار . لم يخامرني الشك بحشر الجثة مكان القرميد في هذه المنطقة بالذات واعيد بناء الحائط كما

كان ، وبهذا لا يمكن لاحد ان يشك في شيء .

لم اشعر بالتضليل من هذه الافكار . وبسهولة سحبت القرميد ووضعت الجثة بعناية فائقة داخل الحائط واعدت بناءه بعد جهد بسيط. شعرت بالراحة عندما انتهيت من العمل لان كل شيء كان على ما يرام خاصة بعد ان حضرت المادة التي تشبه المادة القديمة المطلي بها . لا يمكن ان تكتشف ان تغييرا ما قد حدث . التقطت ما بقي على الارض بعناية ونظرت حولي وكأنني انتصرت وقلت في نفسي:

« ان عملي هنا على الاقل لم يذهب سدى » .

علي الان ان ابحث عن هذا الحيوان الذي كان سببا لتعاستي وقد قررت اخيرا قتله . لو التقي به في هذه اللحظة لوضعت حدا لحياته . لكنه يبدو ذكيا فقد فزع من شدة غضبي وتحاشى الظهور امامي وانا في هذه الحال . انه لمن المستحيل وصف او تخيل الارتياح العميق في صدري الذي خلفه هروب هذا الحيوان التعس . لم يظهر خلال الليل وهكذا نمت اول ليلة بهدوء منذ ان جاء الى البيت ، ولكن عبء الجريمة الثقيل كان يرزح على صدري .

ومر اليوم الثاني والثالث ولم يرجع معذبي بعد ، فتنفست الصعداء وشعرت بالحرية . لقد ذهب ذلك الغول مرعوبا وترك البيت الى الابد . ان سعادتي كانت فائقة لانني لم اعد اشاهده ، ولكن جريمة القتل كانت تزعجني . وجرت بعض الاستفسارات القليلة حول اختفاء زوجتي ولكني استطعت التخلص والرد عليها بسهولة ، كما ان البحث والتفتيش لم يظهرا شيئا . نظرت نحو المستقبل السعيد الذي ينتظرني وكأنه شيء مؤكد وثابت .

حضرت في اليوم الرابع فرقة من البوليس بصورة غير متوقعة وبدات للمرة الثانية تفتيشا دقيقا للمبنى والجوار . لم اشعر بالارتباك لاني قد اخفيت السر تماما . طلب الضباط مني مرافقتهم في البحث والتفتيش . لم يتركوا زاوية او ركنا منعزلا الا وفتشوه ، واخيرا نزلوا الى القبو ربما للمرة الثالثة او الرابعة . لم يرتعش لي جفن . فقد كان قلبي يدق بهدوء كمن يشعر بالبراءة . وبدات امشي في القبو من زاوية لاخرى وقد طويت ساعدي الى صدري واخذت اروح واجيء في المكان . كان البوليس مقتنعا ببراءتي وعلى وشك مغادرة القبو . وكان الفرح عظيما جدا في قلبي لدرجة لا يكبح ، فاحترقت شوقا لاقول ولو كلمة واحدة لتأكيد براءتي .

قلت ونحن نصعد الدرج « ايها السادة . اني سعيد فقد هدأت من الشك لديكم واتمنى لكم العافية والتقدير . ان هذا البيت — ايها السادة — بني بشكل مرتب — كنت اريد ان اقول ذلك بسرعة ولكني لم اعد اعرف ماذا اقول . انه بيت رتب بشكل جيد وهذه الحيطان — هل انتم

مغادرون للمكان ايها السادة ـــ هذه الحيطان قوية . وبتبجح مغرور طرقت بقوة حائط القرميد حيث ترقد جثة زوجتي الحميمة بعصا كانت في يدي.

آه ... لو ان الله انقذني من براثن الشيطان ! وما ان غرق صدى ارتجاج ضرباتي المتواصلة في عمق السكون حتى سمعت صوتا يجاوبني داخل القبو كأنه صراخ مخنوق انفجر بعد ذلك كبكاء طفل ثم الى صرخة عالية مستمرة كعواء شاذ ثم الى عويل منتحب ملىء بالرعب كتلك التي تصدر من حناجر حكم عليها بالعذاب في جهنم والشياطين تهلل جذلة طربة في الخطيئة المميتة !

من السخافة ان اصف شعوري فقد تسمرت على الحائط المقابل مغميا علي ، مكث البوليس برهة دون حركة خائفا مرعوبا ، ولكن السواعد القوية سرعان ما تشابكت لتهدم الجدار . هوى دفعة واحدة ، وظهرت الجثة معفنة بالدم المنجمد امام البوليس وعلى راسها وقف ذلك الحيوان البشع وفمه ملىء بالدم وعينه الوحيدة تتوقد بالشر المستطير . لقد خذلني بدهائه وقادني للجريمة واوصلني بصوته الى الجلاد.

« لقد سورت على هذا الحيوان ـــ الغول » داخل القبر ! »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(1) الكمر : كائن خرافي له راس اسد وجسم شاة وذنب حية .

لنكتب

للشاعر: حسن فتح الباب

(الى رفقائي كتاب مصر العربية
وشعرائها الاحرار الصامدين خلف
الاسوار وفي المنافي)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لنكتب .. لنكتب
وان ينقصف
يراع .. لنكتب بريشة ضلع
وظفر نزع
وان ينفد اليوم منا المداد
لنكتب بحبر الدماء
بحار مدينتنا لن تجف
وشلالها ابدا لن يقف
ولن نرتجف

لنكتب
على شفة الورد قبل الذبول
على صدر صبارة لم تخن
مواعيد احزاننا .. لم تبع
بقية اعيادنا
لنكتب
يعود القمر

— • —

لنكتب على الماء حين يصير خيالا
بعيدا تناجيه اطفالنا
وتصنع منه الدمى
وتغزله الامهات
نجوما .. سنابل في الامسيات
لاحبابنا الغائبين
وتجدله ياسمين
وورداً لعشاقه العائدين
وتضفره امنيات
وحين يصير الربيع على شرفات المدينة
بلون اغاني الشباب الحزينة
لنكتب
يموت شتاء .. ويخضر صيف
ويطلع من حبنا الف طيف
ليغزو العيون التي هاجرت
بعيداً .. ويطرق ابوابنا قبل ان تودعنا
.. قبل ان يستحيل الشجر
رؤوسا مجللة بالجليد
ويصبح احلى الاغاني بكاء القيود

— • —

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لنكتب
يقوم العبيد
من الكهف .. تنبض احلامهم بالوطن
ينامون قتلى .. وتصبح كل الضلوع
مناجل .. يصبح دمع الزمن
سلاسل .. ينساب صوت الوطن
جداول .. يرتد برقا .. وعينيه
تلتمعان
وتصبح كل الضلوع مشاعل .. كل
القيود
سيوفا لالهة لا تموت
رياحا على ارضنا تنفجر

— • —

لنكتب
تعود الاساطير معجزة..والعواصف
تعود اساطير موتى
وتدنو الموانى البعيدة
ويولد بحاره في مياه جديدة
لنكتب على الموج .. ذاكرة الموجحية
وفي المدن الساحلية
تعيش القواقع مليون عام
وتجهض اعتى الزوابع كل دقيقة
وتسقط اغلى ضحية
لتحيا الحقيقة

— • —

لنكتب .. ومهما ارتمى المستحيل
على نهرنا جثة
وفوق المرايا ضباب
وفجر كل الجراح التراب
اسيرا .. وخان الدليل

وغاب القمر

— ٠ —

لتكتب على الريح..فوق ظلال النخيل
وامكنة لم نزرها
وازمنة ضيعتنا
وذكرى لقاء قصير
وحلم طويل
ستنهل مليون قطره
ويولد نهر
ستنبت مليون زهره
ويولد فجر
ويغمر كل الصحارى المطر
ونصبح اغلى الضحايا.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حول الإطار والسياق
لأشهر عبارة في فن القول

« الأسلوب هو الرجل »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم : أحمد درويش

تكتسب بعض العبارات في تاريخ التطور البشري ، سحرا خاصا وقوة مؤثرة ، تتجاوز بها في كثير من الأحايين ، المدى المقدر لها في نفس قائلها ، وتتضاعف سرعة حركتها ، واتجاهها أحيانا ، تبعا لموقعها وتكيفها في نفس متلقيها ، ومن تلك العبارات ما يأخذ في تاريخ الفكر السياسي ، شكل « الشعارات » و بقدر ما يكون

صدقها وبعدها عن الزيف ، يكون التفاف الجماعة حولها ، وترجمتها لها الى عمل يحدد مسار المستقبل ، وبقدر ما يكون زيفها ، يكون لؤمها على نحو مصطنع ، على أطراف بعض الألسنة حينا من الدهر ، تعجز خلاله جذورها عن أن تمتد في تربة صالحة فتذبل وتموت ، أو تبقى محنطة لا دواء لها ، كالزهر المصنوع من الورق لا طعم له ولا رائحة .

وتاريخ العلوم والآداب والفلسفات ، تتميز مراحله المختلفة ، بعبارات رئيسية ، تعكس كل واحدة منها ، عند امعان النظر فيها ، روح فترة ومنهج تفكير . وفي تاريخ فن القول ، تتألق منذ أكثر من قرنين وعلى نحو محدد منذ عام ١٧٥٣ ، العبارة ذات الأبعاد المشعة : « الأسلوب هو الرجل » ، فمن هو قائلها ؟ وما السياق الذي وردت فيه هذه العبارة ، والذي يمكن أن يساعدنا على معرفة البعد الذي أراده لها قائلها على الأقل ؟ وهي معرفة لا تمنع شرعية الأبعاد الأخرى التي اكتسبتها وما زالت تكتسبها هذه العبارة . وما هو الاطار التاريخي الذي ولدت فيه ؟

وأول ما ينبغي تسجيله هنا ، أن قائل هذه العبارة ، ليس فارسا من الفرسان التقليديين في ميادين فن القول ، وانما هو عالم مبرز من علماء النبات ، هو العلامة « بوفون » المشرف على حدائق الملك ، وعضو الأكاديمية الفرنسية ، وصاحب المؤلفات الكبرى في علوم الطبيعة والنباتات ، وهي مؤلفات حملت نظريات طورت تطويرا جذريا ذلك الفرع من المعرفة ، وكانت نتاجاً لتأمل طويل ، أوحى الى صاحبها أن خلود جمال الطبيعة ، راجع الى سبب رئيسي ، هو « وحدة النسق » الكامنة وراء كل لون من ألوانها ، وهي « وحدة » يمكن أن يكتسب بها الأسلوب قدرا من « خلود الجمال » وهي وحدها في الواقع ، إن توافرت أو توافر قدر منها ، كفيلة بأن تضمن لعمل أدبي ما ، الانتقال من جيل الى جيل ، أو الصمود أمام تتابع الأجيال .

كان « بوفون » قد تم اختياره عضوا بالأكاديمية الفرنسية ، في اللحظة الأخيرة ، فقد كان عالم آخر هو « بيروت » قد رشح لذلك المنصب ، ولم يحظ بموافقة الأعضاء . وكان « بوفون » وقتها في السادسة والأربعين ، عالما شاباً قد شغل مكانه

في الحياة العلمية الباريسية ، منذ أن استقر بهذه المدينة عام ١٧٣١ ، وطيلة اثنين وعشرين عاما ، قبل أن يرشح للأكاديمية في أغسطس ١٧٥٣ . وكان قد رشح وهو في الرابعة والعشرين ، عضوا بأكاديمية العلوم ، وخلال هذه الفترة قدم للفكر الفرنسي ، ترجمته الدقيقة لآراء « نيوتن » و « هال » مع مقدمات دالة على سعة المعرفة ، أكسبته لونا من الثقة ، أهله لاختياره عضواً في الكلية الملكية للأعشاب الطبية .

وفي الثانية والأربعين ، أخرج مجلدات ثلاثة عن التاريخ الطبيعي ، ومناهج البحث فيه ، وقد وضعت هذه المجلدات ، إسمه في مصاف كبار المفكرين في القرن الثامن عشر ، وأصبح إسمه يقترن بأسماء : فولتير ، ومونتسيكيو ، وديدرو .

كان إسهام « بوفون » في الحياة الفكرية والأدبية قويا ومؤثرا ، وعندما كان « مونتسيكيو » يشغل المجتمع بآرائه وأفكاره القوية والجديدة ، والتي وردت في مؤلفاته ، وكان بعض المفكرين يحدد قيمة هذه الآراء من حيث مساسها بالقيم الدينية ، التي اكتسبت الثبات منذ عصور ، كان رأي بوفون ببساطة : أن هذا اللون من النقاش ، ليس صادرا عن علماء أو نقاد ، ولكنه صادر عن قضاة ، أصدروا حكمهم بالإدانة سلفاً . وكان يرى في « مونتسيكيو » كاتبا كبيرا ، يتسم بالهيمنة على قضاياه التي يعالجها ، وكان يبدي إعجابا خاصا بكتابه « روح القوانين » الذي كان يعد من أعظم ما أنتجه القرن الثامن عشر في تلك الآونة ، ولكن من الناحية الأسلوبية الخالصة ، كان « بوفون » يتساءل : « هل لمونتسيكيو أسلوب خاص ؟! »

كان هذا الكاتب الكبير ، فيما يرى « بوفون » يفتقد خاصتين رئيسيتين ، من خواص الأسلوب الجيد وهما : « الوحدة والخُطّة المُحْكمة » وكان يقول ان ذلك عيب شائع ، في كل كتاب العصر ، إنهم يفتقدون جميعا ، هذه الروح العظيمة في التأليف ، التي تسمح للقارىء ، برؤية تصور عام شامل للعمل من خلال رؤية واحدة ، و يضيف : « لقد أصبح الكتاب يكتفون بصياغة قطع لامعة ، وأجزاء مقطعة ، يتولون ربطها في النهاية ، بطريقة أو أخرى من خلال خيط واه .

كان الذهبان الشائعان في « الأسلوب » في أواخر القرن السابع عشر، ينتميان الى « بربقير» و« فونتيل » وكان الاختلاف بينهما، في درجة التقليد للأساليب القديمة، ولكنهما في النهاية، يتبعان منهجا « بلاغيا » يشارف الأفكار، مشارفة ملتوية غير واضحة، و يستعيض عن الجمال البسيط للأسلوب، بجمال المحسن الخارجي، كانت بقايا من « أدب الحذلقة » في الصالونات الأدبية القديمة، تجد في مثل هذه المناهج، رواجا جديدا لها.

لكن كتابات ڤولتير في الربع الثاني من القرن الثامن عشر، وعلى نحو خاص، « ملك السويد » ١٧٣٠ و« الرسائل الانجليزية » ١٧٣٤، بدأت تقدم مذاقاً للون جديد من الأسلوب، هو: « الأسلوب الطبيعي ».

كان القرن الثامن عشر، الذي يطلق عليه « عصر التنوير » بأعلامه الكبار، ڤولتير وديدرو ومونتسيكيو و بوفون، يواصل تطوير ثورة الفكر الانساني، التي كان « ديكارت » قد وضع لها في القرن السابع عشر هيكل المنهج في عمله الشهير عام ١٦٣٧، والذي ترجم الى العربية، لكن هذه الثورة، كان ينقصها مقال مماثل في الشكل، وهو ما وضعه « بوفون » تحت عنوان: « مقال في الأسلوب »، والذي نريد أن نقدم ترجمته للقارىء العربي مع هذا المقال، والذي كان في الواقع « خطاب الافتتاح » لقبوله عضوا بالاكاديمية الفرنسية عام ١٧٥٣.

« مقـــال في الأســـلوب »

تستلزم البلاغة الحقيقية، إعمال الموهبة، وتثقيف النفس معا. وتلك البلاغة مختلفة تماما، عن تلك المقدرة الطبيعية، على التكلم بسهولة، والتي ليست إلا موهبة فطرية، وخاصة يلتقي فيها كل اولئك الذين يحملون طاقة إنفعالية قوية، وألسنة طيعة، وأخيلة نشطة، وأصحاب تلك الموهبة، يتفاعلون مع الأشياء بحرارة، و يكتشفون منها بنفس الدرجة، وهم يلاحظون الأشياء من الخارج، و يكونون عنها إنطباعا آليا بدرجة كاملة، ثم ينقلون الى الآخرين تحمسهم وعواطفهم.

إنه الجسد يتحدث الى الأجساد (هنا) وكل الحركات ، وكل الاشارات ، تتسابق لكي تسهم في ذلك الاطار. ما الذي يحتاجه المرء لكي يثير الجمهور و يربطهم اليه ؟ ما الذي يحتاجه حتى يهز معظم الآخرين و يقنعهم ؟.. صوت جهوري ، وإشارات لبقة ومعبرة ومتتالية ، وكلمات سريعة ذات رنين . لكن بالنسبة للقلة التي لا تنفذ الكلمات الى رأسها بسهولة ، والتي تتمتع بذوق راق ، وحواس مُرْهَفَة ، والتي لا تعول على النغم إلا قليلا ، ولا على الاشارات والصدى الأجوف للكلمات بالنسبة لهذه القلة ، ينبغي أن يكون هناك شيء آخر ؛ أفكار وأسباب ، وأن يعرف المتكلم ، كيف يقدمها ، وأن يقف على درجات الفروق الطفيفة بينها ، وأن ينسقها ، وعلى الجملة ، لا يكفي أن يملأ المتكلم الأذن ، و يشغل العين ، لا بد أن يصل الى النفس ، و يلمس القلب ، حتى يوجه كلماته الى الانسان .

ليس الأسلوب إلا النظام والحركة اللذين يضع المرء فكره في إطارهما ، فاذا ما قيدهما وضيقهما ، فسوف يكون الأسلوب مُغلقا ، متوترا ، مقتضبا ، وإذا ما تركهما ، تتوالى حركتها في هدوء ، ولا يلحق بهما إلا ما كان وثيق الصلة من الكلمات أيا كانت أناقتها ، فسوف يكون الأسلوب منبعثا وسهلا ومسترسلا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لكننا قبل أن نبحث عن الاطار الذي نقدم الأفكار من خلاله ، ينبغي أن يكون لدينا إطار آخر، أكثر اتساعا وثباتا ، لا يدخل فيه إلا المعطيات الأولى ، والأفكار الرئيسية . ذلك أن موضوعا ما ، يمكن أن يحدد ويحاصر و يعرف المرء كيف يمتد بفروعه ، من خلال ملاحظة موقع أفكاره الرئيسية في ذلك الاطار، ونحن بتذكرنا ، دون انقطاع ، لهذه السمات الأولى ، نستطيع أن نحدد الفواصل المحكمة بين الأفكار الرئيسية ، وأن نجد الأفكار المساعدة ، والوسائل التي تعيننا على وضعها في مكانها المناسب .

هذا الاطار الذي نتحدث عنه ، ليس وحده هو الأسلوب ، ولكنه قاعدته ، وهو الذي يدعمه ، و يقوده ، و ينظم حركته ، ويخضعه للقوانين ، و بدونه يضل أفضل الكتاب ، حيث يسير قلمه بلا دليل ، و يطرح بمجازفة ، سمات غير معدة ، وأفكار

غير مترابطة . وأيا ما كان بريق الصور ، وأيا ما كان لون الجمال الذي تغرسه في تفاصيل الأشياء ، ما دام مجمل العمل ، سوف يصدر منا ، أو لا يترك لدينا القدر الكافي من القناعة ، فان الانتاج لن يكون على الاطلاق « هيكلا مُهَيْمناً » وحتى لو افترضنا أننا يمكن أن نجد فيه روح المؤلف ، فاننا سوف نجد العمل مفتقدا للمسة العبقرية .

ومن أجل ذلك السبب ، فان الذين يكتبون ، بنفس الطريقة التي يتكلمون بها ، تجيء كتاباتهم رديئة ، مهما كان كلامهم جيدا ، وان اولئك الذين يستسلمون للبارقة الأولى في خيالهم ، يمسكون بطرف خيط من النغم لا يستطيعون هم أنفسهم مساندته أو مواصلة السير عليه ، وأولئك الذين يخافون من أن تضيع أفكارهم المتفرقة الشاردة ، فيكتبون في أوقات متباعدة ، قطعاً غير مترابطة ، لا يستطيعون على الاطلاق أن يخرجوها الى النور ، دون تمهيد متكلف .

وفي كلمة موجزة ، فان هنالك كثيرا من الأعمال ، صنعت من قطع متفرقة ، ونادرة هي الأعمال التي بنيت من دفعة واحدة ، ومع ذلك فان كل موضوع هو « وحدة » ومهما كان اتساعه ، فانه يمكن أن يضم في اطار مقال واحد ، فالفواصل ، والوقفات والمقاطع ، لا ينبغي أن تجيء إلا لكي تفرق بين نقاط مختلفة ، أو عندما نتحدث عن أشياء كثيرة شاملة ومتباينة ، وتجد خطوات القريحة نفسها ، تعترضها العقبات المتعددة . وتجبرها على ذلك ضرورة الظروف ، وبعبارة أخرى يمكن القول بأن التقسيمات والتجزيئات الكثيرة ، لا تساعد على اعطاء وحدة عمل ما ، صلابتها ، وأنها تهدم هيكله التجمعي ، ومن ثم ، فان الكتاب يبدو واضحا في أعيننا ، لكن هدف المؤلف ، يظل غامضا ، لأنه لم يستطع أن يترك انطباعاً في نفس القارىء ، فانه لا يجعلنا نحس به الا من خلال اتصال الخيط ، والترابط النسقي بين الأفكار ، ومن خلال النمو المتتابع ، والتدرج الذي تدعم كل خطوة فيه لاحقتها ، والحركة الموحدة التي لا ينبغي أن تنقطع فتنهدم ، أو يتسرب اليها السأم .

لماذا تبدو أعمال الطبيعة أمامنا شديدة التكامل ؟.. لان كل عمل هو « وحدة » وهو وفقاً لخطة خالدة ، لا تنحرف ابدا . فالطبيعة تعد في صمت بذور

انتاجها ، تصمم من خلال « ضربة حدث واحدة » الشكل المُبدى لكل كائن حي ، وتطور ذلك الشكل وتحسنه من خلال « حركة دائمة » فيأتي انتاجها مدهشاً ، لكن الذي ينبغي أن يدهشنا هو الحدث الالهي ، الذي ليست الطبيعة الا صورة له .

ان الروح الانسانية ، لا تستطيع أن تخلق شيئا من العدم ، ولن تنتج الا بعد أن تكون قد أخصبتها التجربة والتأمل . ومعارف الروح الانسانية ، هي بذور انتاجها ، لكن الروح ، لو حاكت الطبيعة في خطواتها وطريقة عملها ! لو أنها ارتفعت من خلال التأمل الى مستوى أكثر الحقائق سمواً ! لو أنها جمعت تلك الحقائق ونسقتها ، وصاغت منها كلاً واحدا ، ونظاما واحدا ! إذن لشادت فوق أسس وطيدة ، معالم خالدة ونتيجة لانعدام « الخطة » ونتيجة لعدم التفكير الكافي حول الموضوع المعالج ، يمكن أن يجد كاتب جيد ، نفسه في مأزق واضطراب ، لا يعرف من أين ينبغي أن يبدأ . أنه يجد أمام عينيه في وقت واحد ، مجموعة كبيرة من الأفكار ، ولأنه لم يعطها القدر الكافي من المقارنة ، ولم يفصل بين ما هو رئيسي منها وما هو تابع ، فانه لا يجد أمامه ما يحدد له أفضلية واحدة فيها على الأخرى ، ويجد نفسه واقعا في الحيرة والارتباك . ولكن عندما تكون لديه خطة ، عندما يجمع الأفكار المتشابهة و يضعها في نظام ، محددا الرئيسي منها لموضوعه ، فلسوف يستطيع أن يلحظ وأن يحدد بسهولة ، اللحظة التي ينبغي أن يمسك فيها بالقلم ، ولسوف يحس بلحظة النضج في إفراز القريحة ، ويحس بلهفة على أن يسيلها ، ولن يجد الكتابة إلا لونا من المتعة ، وفي هذه اللحظة سوف تتابع الأفكار بسهولة ، وسوف يأتي الأسلوب طبيعيا وسهلا ، ومن هذه المتعة تولد الحرارة وتنتشر في كل حرف ، وتعطي الحياة لكل تعبير ، وشيئا فشيئا تزداد تلك الحيوية ، تعلو النغمة ، وتأخذ الأفكار ألوانا ، والمشاعر تتلاقى في الضوء ، تتضح وتعلو ، ويحملها الضوء بعيدا ، متجاوزا بها دائرة ما قد قيل ، الى دائرة ما سيقال ، و يصبح الأسلوب شائقا ومثيرا .

انه لا شيء يطفيء من هذه الحرارة ، أكثر مما يطفئها رغبة بعض الكتاب ، في وضع سمات « لامعة » في كل مكان . وهذا الضوء الذي ينبغي أن يتجسد ، وأن يُحْسَن توزيعه وانتشاره في كل أجزاء العمل الكتابي (كما يتوزع الضوء و ينتشر

خلال اللوحة) لا يعارضه شيء ، بقدرما يعارضه البريق المفتعل ، الذي يجبر الكلمات على أن تلتحم إحداها بالأخرى ، والذي لا يبهر أعيننا الا للحظات قصار، يتركنا بعدها في ظلمة حالكة .

ان هذا النوع من الفكر، لا يقدم الا جانبا واحدا من الموضوع المعالج ، و يترك في الظل بقية الجوانب الاخرى ، ومن الطبيعي أن الجانب المختار، يصبح نقطة أو زاوية ، تشغل الذهن عما سواها ، وتبتعد به عن الرؤية المتكاملة ، التي يتطلب الحس الدقيق أن ترى الأشياء من خلالها .

لا شيء أبعد عن الطبيعة الجيدة ، من أن يكلف المرء نفسه عناء ، في أن يعبر عن شيء عادي أو شائع ، بطريقة متفردة ، بعيداً عن الاعجاب ، عن أن ينفق المرء كثيرا من الزمن في رَص مقاطع الكلمات ، لكي لا يقول في النهاية إلا ما يقوله سائر الناس ، ان هذه الاذهان عقيمة حتى وأن زرعت ، انها مليئة بالكلمات لا بالأفكار، وهي تعمل اذن حول الكلمات ، متخيلة أنها تعمل حول الأفكار... هؤلاء الكتاب ليس لهم « أسلوب » واذا أردت ، فهم ليسوا الا ظلاً ، فالأسلوب ينبغي أن ينقش أفكاراً ، وهؤلاء لا يعرفون الا كلاما.

لكي يكتب المرء جيدا ، ينبغي اذن أن يهيمن أولا على موضوعه ، و ينبغي أن يفكر فيه ، بالقدر الذي يسمح له ، أن يرى بوضوح نظام أفكاره ، وأن يصوغ ذلك النظام ، في قالب متتابع ، وسلسلة متصلة ، تحمل كل حلقة منها فكرة ، وعندما يتناول قلمه ، ينبغي أن يقوده خطوة وراء خطوة ، فوق ذلك التصور الأولي ، دون أن يسمح له بالانحراف ، ودون أن يخل كثيرا بتوازن خطواته ، ودون أن يعطيه مستوى آخر من الحركة ، يتجاوز المدى المحدد لحركة ذلك التصور، وهنا تكمن صرامة الأسلوب ودقته ، ومن هذه النقطة أيضا عليه أن يحدد أسلوبه و ينظم سرعته ، وذلك وحده أيضا ، كاف ، في أن يجعل الأسلوب عددا و بسيطا ، متوازنا وواضحا ، حيا وداقعاً على المتابعة .

وإذا أضفنا الى هذه القاعدة الأولى ، التي تمليها الموهبة ، الرّقة ، والذوق ، والتدقيق في اختيار العبارات ، والقصد الى أن لا تسمى الأشياء إلا بأكثر

مصطلحاتها دلالة عليها ، فسوف يكتسب الأسلوب صفة النبالة .

فاذا أضاف المرء أيضا ، عدم اطمئنانه للحركة الأولى في تفكيره ، وازدراءه لكل ما لا يحمل الا قيماً براقة ، واشمئزازه الذي لا يلين من الغموض وعدم الجدية ، فسوف يكتسب الأسلوب صفة الجاذبية بل وصفة العظمة .

وأخيرا ، فان المرء لو طابقت كتابته تفكيره ، ولو كان مقتنعا بما يريد أن يقنع به الآخرين ، فان اخلاصه ذلك مع نفسه والذي يعطيه صفة اللياقة عند قارئه ، و يعطي لأسلوبه صفة الحقيقة ، سوف يجعله يبلغ أقصى ما له من فعالية ، شريطة ألا يكون ذلك الاقناع الداخلي ، متسما بتحمس مبالغ فيه ، وأن يوجد دائماً قدر من سلامة النوايا ، أكثر من الثقة بالنفس ، وأن يكون العقل دائما أرجح من العاطفة .

ان الانتاج الذي يعرف صاحبه جيدا ، كيف يكتبه ، هو الذي سوف يبق للاجيال القادمة ، فغزارة المعرفة ، وتفرد المعطيات ، وحتى جدة الاكتشافات ، ليست ضماناً أكيدا للخلود ، إذا كان الانتاج الذي يتضمنها ، لا يدور الا على موضوعات صغيرة ، واذا كانت هذه الموضوعات ، قد كتبت دون تذوق ، ودون نبالة ، ودون عبقرية ، فسوف تتلاشى ، لأن المعارف والمعطيات والاكتشافات تطير بسهولة ، وتنتقل ، ويمكن أن تفوز بها أيد تستعملها بطريقة أكثر مهارة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذه الأشياء هي أشياء خارج الرجل ، أما الأسلوب فهو الرجل ذاته ، الأسلوب اذن لا يمكن أن يطير ، ولا أن ينتقل ، ولا أن تتعاقبه الأيدي ، فاذا كان الأسلوب راقيا ، ونبيلا وساميا ، فان الكاتب ، سوف يعد لذلك ، في كل العصور ، لأنه لا يدوم بل ولا يخلد الا الحقيقة ، ولأن جمال الأسلوب ، يكمن في واقع الأمر ، في العدد اللامتناهي من الحقائق الذي يقدمه .

ان كل الوان الجمال الذهني التي توجد في الأسلوب وكل العناصر التي يتكون منها هي حقائق تتساوى في فائدتها مع جوهر الموضوع ، وربما كانت أكثر منها نفاسة ، بالنسبة للروح الانسانية .

★★★

الربيع الأجمل



محمد سعد بيومي

غيابها عذر يؤجل الربيع
ويعطب السفينة
انفاسنا الدفينه
تقزف دمع الاغنيات
عبر متاهات الوداع
احلامنا ..تجوس في الدروب عطشى
... ترتوي بالذكريات

زوارق الفراق تعلق الفؤاد
وتاكل الرؤى .. فزادها السهاد
وطائري المحلق
ما عاد يملأ الافق
فالدرب خاو تحتويه الامنيات
والامنيات جائيات
ترقب رحلة الشفق
وحينما يعانق الشوق مدار نفسي
اعزف لحن امسي
وانشد اللقاء في وجه القمر
مهما تطلب السفر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شريدة عيناك في وادي الظنون
بعيدة عيناك عن قلبي الحنون
لكني اذوب حبا .. صدقي
وفي الجفاف رقرقي
تغريد حبنا يدغدغ السكون
ويملأ الاماكـــن
لن نستقي ؟
لن نلتقي ؟.. اعلم يا حبيبتي
لن نلتقي
ما دمت في السفينة المضلله
عن شاطىء المحبه
يحط ترحالك في المرافىء الغريبة
وعندما نسال عنك من رآك راحله
يجيب ؟ انها تسير .. غافله

يا طائري
قل لي ؟ متى ترى النور ؟!!
فقد تراكم الضباب
والاغنيات لم يعد بها شروق
رداؤك المعطاء قد تمزق
من طيلة البعد
وكثرة الصد
لكنني ما زلت اثري حبنا
ما زلت عند نبعنا
ادفق من قلبي عصارة النقاء
اغرس ازهار البقاء
احيك ثوبك الموشى بالورد والقبل
اهدهد القلب بومضة الامل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أخطاء شائعة في النحو

بقلم الدكتور جميل علوش

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ليست الاخطاء الشائعة مقصورة على اللغة فهي شائعة في النحو ولكن المصيبة ان دارسي النحو يعتبرون كل ما ورد عن السلف الذين نكن لهم كل تقدير واحترام صحيحا ومستقيما دون ان يكلفوا انفسهم عناء المناقشة والبحث .

ويجدر بنا ان ننبه الى اننا في تبيننا لهذه الاخطاء وكشفنا عنها لا نقصد باية حال المس بعلمائنا الاجلاء الذين كان لهم دور كبير في بناء صرح النحو الشامخ . ولكن الحقيقة اكبر من المداراة والمجاملة .

كما اننا لسنا من هؤلاء الذين يهاجمون النحو لانهم لا يفهمونه فاذا حاولوا ان ينتقدوا او يناقشوا صدروا عن تحامل وكشفوا عن جهل .

اننا نتمسك باصول النحو وبتعليم شيوخه الكبـــار وعلمائه الافذاذ واذا نقضنـــا شيئا منـــه فلن يكون هـــذا النقض الا بالاستناد الى هذه الاصول والتعاليم .

ففي النحو قواعد لا يقبلها العقل ولا يقرها المنطق وقد افضنا في شرحها وتبيينها في عدد من المجلات العربية كالمعرفة السورية والبيان الكويتيـــة والبلاغ العراقية وغيرها .

ولذلك كان من المناسب بل من الضروري ايجاز تلك المآخذ والمزالق التي اقتنعنا بضرورة تحديدها وتصحيحها في الملاحظات التالية :

١ ــ يقولون تنوين الضم او الفتح او الكسر والضم والفتح والكسر من القاب البناء والبناء لا يقبل التنوين ولذلك كان الصحيـــح ان نقول تنوين الرفع وتنوين النصب وتنوين الجر .

٢ ــ يقولون في اعراب « رايت رجلا » رجلا مفعول به علامة نصبهالفتحة الظاهرة على اخره . والصحيح ان علامـــة نصبه تنوين النصب الظاهر علىاخره . وليس صحيحا انالتنوين صوت يقصد به التنكير فلا علاقة له بالاعراب . بل هو يدخل الاعراب فالذي يجعل النون علامة اعراب في الافعال الخمسة يجعل التنوين كذلك علامة اعراب والنون والتنوين من واد واحد . فانه ليس من الدقة المساواة بين ما ينتهي بفتحة وما ينتهي بتنوين النصب في قولنا « رايت الرجل » و « رايت رجلا » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣ ــ يقولون ان المنادى دائما في محل نصب بفعل النداء المحذوف وهذه خرافة لا يقبلها العقل فليس ثمة فعل نداء والذي يعمل في المنادى هو حرف النداء . ولو جاز لنا تفسير يا « بانادي » لجاز لنا تفسير ليت « باتمنى » ولعل « باترجى » وهل « باستفهم » الخ وهذا كله يقود الى الفوضى والمتاهات . فالمنادى يبنى على الضم في حالات وينصب في حالات اخرى اما زعمهم انه يكون منصوبا بفعل النداء المحذوف فهو ضرب من الوهم بل هو خلط كما قال ابن جني بين تفسيرالمعنى وتقدير الاعراب .

٤ ــ يقولون في اعراب صيغة التعجب الثانية « افعل به » انها فعـــل ماضي جاء على صورة الامر ، والباء حرف جر زائد والمتعجب منـــه مجرور لفظا مرفوع محلا على انه فاعل ، وهذه ايضا خرافة .

فليس من المنطقي ان يجيء الماضي على صورة الامر . وليس من المنطقي ان يكون حرف الجر زائدا ولازم الزيادة في الوقت نفسه .

وكذلك ليس من المنطقي ان يكون فاعل فعل الامر اسما صريحا .
ولو كان الفاعل اسما ظـــاهرا لما امكن الاستغناء عنه في قوله تعالى : « اسمع بهم وابصر » . فقد حذف الجار والمجرور في ابصر استغناء بوجودهما بعد اسمع ولو كان الجاروالمجرور عمدة والفاعل عمدة لما امكن الاستغناء عنهما وهذا دليل كاف على بطلان زعم من قال بان الاسم المجرور في محل رفع فاعل .

وقد وصف الزمخشري كل هذا بالتعسف وقرر ان افعل به امر في صيغته وفي معناه وقد قال بهذا الراي قبل الزمخشري وبعده ، عدد من النحاة منهم الفراء والزجاج وابن كيسان وابن خروف .

فافعل به اذن فعل امر عادي مبني على السكون لانـــه صحيح الاخر وفاعله ضمير مستتر تقديره انت والباء حرف متعلق بافعـــل والمتعجب منه مجرور بالحرف . اما كون افعل به لا يسند الى غير ضمير المخاطب المفرد فلانه ناب عن المصدر والامر كما هو معروف ينوب عن المصدر كما ان المصدر ينوب عن الامر في مثل قولهم صبرا او مهلا ولان المصدر النائب عن فعل الامر لا يجيء الا بصيغة واحدة فان الامر النائب عن المصدر لا يجيء الا بصيغة واحدة . فافعل به يبقى على صيغة واحدة مثل اهلا بك ومرحبا به مهما اختلفت حال المخاطبين .

هذا هو الحق ولو خالف في ذلك جميـــع النحاة فمن المعروف ان النحاة ياخذ اللاحق منهم عن السابق دون تحر او تمحيص . ثم اذا جاز لهم ان يخالف احدهم الاخر فلماذا تمتنع علينا هذه المخالفة ؟

٥ ــ يطلقون لفظ تمييز على ما يقع بعد العدد وكناياته وتمييز الذات في مثل قولهم ثلاثة رجال وكم رجل واشتريت رطل قمح . فيسمونرجال ورجل وقمح تمييزا . ومن المعروف ان التمييز لا يكون الا منصوبا اما هذه فليس لها علاقة بالتمييز فهي في الامثلة الثلاثة مضاف اليه .

اما انها تميز ما في الاسم السابق من الابهام فهذا يدخل في نطاق اللغة لا في نطاق النحو فليس من حقنا ان نلحق كل كلمة تميز بالنحو حتى التمييز العنصري الذي يمارس في افريقيا .

ومن ثم فان قول بعضهم بانه يجوز في تمييز الذات النصب على التمييز والجر بالاضافة والجر بالحرف في مثل قولنا اشتريت رطلا قمحا ورطل قمح ورطلا من قمح ، ان قولهم هذا ليس دقيقا فالجر بالاضافة وبالحرف يتعارضان مع التمييز حتى لو تضمنا معناه . فمن المعروف ان الظرف اذا دخله حرف الجر بطل ان يكون ظرفا فلو قلت سافرت يوم الجمعة لكان «يوم» ظرفا ولكن اذا قلت سافرت في يوم

الجمعة كان يوم مجرورا بالحرف فالعبرة ليست بالمعنى بل بالوظيفة الاعرابية ولا فرق في المعنى بين قولنا زيد حضر وحضر زيد فزيدفاعل في المعنى في الجملتين ولكنه من حيث الوظيفة الاعرابية مبتدا فيالجملة الاولى وفاعـــل في الثانية .

٦ ــ يقولون في المفعول لاجله يجوز فيه النصب والجـــر بحرف الجر في مثل قولنا : وقفت اكراما للامير او لاكرام الامير والحقيقة ان الصيغة الاولى مفعول لاجله واما الثانية فهي مجرور بالحرف لا اقل ولا اكثر

٧ ــ يقولون في اعراب : اين السبيل ؟ اين اسم استفهام مبني علىالفتح في محل نصب ظرف وشبه الجملة خبر مقدم . والصحيح ان نقول ان اين اسم استفهام مبني علىالفتح في محل رفع خبر مقدم والسبيل مبتدا مؤخر .

٨ ــ يكثر الدكتور عبـــده الراجحي في كتابه التطبيق النحوي من قوله : حرف جر لا محل له من الاعراب وحرف عطف لا محل له من الاعراب وحرف نفي لا محل له من الاعراب الخ وهذا القول من قبيل تحصيل الحاصل فمن المعروف ان الحرف لا محل له في الاعراب . واذا كان الامر كذلك فلماذا الاصرار على نفي ان يكون له محل في الاعراب انها حقيقة بديهية لا حاجة الى الاشارة اليها او التنويه بها .

٩ ــ اجازوا في الاسم المنسوب ان يرفع نائب فاعل في نحو احلبي جدك فتكون « جدك » نائب فاعل « لحلبي » على تقدير امنسوب جدك الى حلب . وهذه خرافة بل سفسطة لان الجملة الثانية امنسوب جدك الى حلب تفسير للجملة الاولى احلبي جـــدك وليست هي . ولقد نبه حذاق النحاة وعلى راسهم ابن جني على خطا الخلط بين تفسير المعنى وتقدير الاعراب . فاين المنطق في وضع عبارة واعراب تفسيرها ؟ والصحيح ان « حلبي » هنا خبر مقدم وجدك مبتدامؤخر وغير ذلك انحراف عن جادة الصواب .

١٠ ــ حين يضاف اسم الفاعل الى مفعوله اجازوا في تابع المضاف اليه (اي المفعول به في الاصل) الجر مراعاة للفظ والنصب مراعاةللمحل فنقول هذا مدرس زيد وعمرو وعمرا بجر عمرو ونصبه وهذا خطا من عدة نواحي :

ا ــ ليس في الاسماء المعربة اعراب لفظي واعراب محلي فالاعراب المحلي لا يكون الا في الاسماء المبنية والمجرورة بحرف الجر الزائد .

ب ــ اذا كان المضاف اليه مفعولا به في الاصل او المعنى فهذا لا قيمة له في الاعراب فالمبتدا في « زيد حضر » فاعل في المعنى ومع ذلك فلم

يسم فاعلا و « شيب » في قوله تعالى : واشتعل الراس شيبا فاعل في المعنى وان كان تمييزا في الواقع .
فالمعنى اذن ليس له قيمة في تحديد الوظيفة الاعرابية .

د — لا يجوز في المعطوف هنا الا الجر فنقول هذا مدرس زيد وعمرو وغير ذلك تخرصات ليس لها قيمة .

١١ — نص بعضهم على ان تكون « امام » في قولنا : « يسار امامك » مرفوعة على انها بذاتها نائب فاعل للفعل المجهول قبلها . وامام ليست ظرفا مختصا ولا متصرفا حتى يجوز ان تنوب عن الفاعل . ولذلك كان الصواب ان تنصب على الظرفية وان تكون شبه الجملة في محل رفع نائب فاعل فنقول : « يسار امامك » بالنصب .

١٢ — يخلط الدارسون كثيرا بين القـــاب الاعراب والقاب البناء وبين الاسم المنون وغير المنون وبين تقدير الاعراب وتفسير المعنى وهذا كله شانه ان يقود الى الفوضى والاضطراب فعلى من يتصدون لهذا العلم ان يكونوا فيغاية التنبه والحذر خشية الوقوع في الخطاوالوهم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حول بعض المفاهيم الجمالية في نقد الرواية

حامد طاهر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عندما نشبت معركة الشعر الحديث والشعر التقليدي ، لم يستطع هذا الاخير ان يدافع عن نفسه طويلا ، وكل ما صنعه انما تمثل في بعض صيحات الاستنكار ، او السخرية من كتاب الشعر الحديث ، لكنه ما لبث ان افسح لهم مكانا في الساحة ، وتركهم يقتسمون معه الميدان . ومع ذلك ، فلو اجريت اليوم — عملية احصائية على الشعراء الشبان الذين يكتبون الشعر التقليدي والشعر الحديث لظهرت مفاجآت .. حدث هذا في الوطن العربي كما حدث في اوروبا . اما في مجال الرواية ، فكان الامر مختلفا تماما . حيث ما زالت الرواية التقليدية (رواية الاحداث وبناء

الشخصيات والتي تعتبر اعمال **بلزاك** نموذجا لها) تحتل مكان الصدارة : فالقراء يقبلون عليها بنهم ، والنقاد يستقبلونها بحفاوة ، والناشرون يعلقونها على الواجهات ، والسينما تلتقطها بسرعة ، وبالجملة فان سوقها رائجة .. وذلك كله على الرغم من الضربات القوية التي وجهت اليها على ايدي كتاب الرواية الجديدة من امثال **جويس ، وكافكا ، والبيركامي** • لكن الضربات الاقوى انما تتمثل بحق فيما قام به بعض منظري الرواية الجديدة ، واشهرهم في فرنسا **الان روب جرييه** ، الذي سوف نعرض وجهة نظره فيما يتعلق ببعض المفاهيم البالية في نقد الرواية التقليدية ، وذلك بمناسبة ظهور طبعة جديدة من كتابه عن « الرواية الجديدة » .

يرى روب جرييه ان للنقد التقليدي مصطلحه الخاص • ومع انه يحرص كثيرا على ان يطلق على الادب احكاما منهجية ، تبعا لمعايير « طبيعية » ، فيكفي ان نتأمل قليلا تحليله للعمل الادبي الذي يتناوله حتى ندرك في النهاية انه يستخدم بعض الكلمات ــ المفاتيح التي تخون تلك المعايير .

لكننا تعودنا ان نسمع كثيرا كلمات مثل « الشخصية » و « الجو » و « الشكل والمضمون » و « الرسالة المراد تبليغها » و « موهبة الروائي » و « روائيين حقيقيين » . . تلك التي تجهدنا كثيرا قبل ان نتخلص من هذه الشبكة المنكبوتية لكي ندرك انها تعبر عن **فكرة حول الرواية** (فكرة مسبقة ، يجب على كل انسان ان يقبلها دون مناقشة ، وبالتالي فهي فكرة ميتة !) وحول **طبيعة الرواية** ، التي يراد منا باي ثمن ان **نؤمن بها** .

ومع ذلك ، فربما كان اكثر خطورة ايضا تلك المصطلحات الشائعة الاستعمال ، التي تصف الاعمال الادبية التي لا تنطبق عليها معايير النقد التقليدي ، مثل كلمة « الطليعة » او « طليعي » التي على الرغم من طابعها العام ، تستخدم غالبا ــ مثل هز الكتفين اشمئزازا ! ــ للتخلص من اي عمل ادبي لا يتمشى مع الادب المستهلك والمقبول من النقد التقليدي : ما ان يعدل كاتب عن الاشكال المستخدمة في عصره محاولا ان يصوغ بنفسه وسيلة تعبير خاصة به ، حتى يجد نفسه ملصوقا على جبهته : « كاتب طليعي » .

واذا كانت هذه الكلمة تعني في الاصل ان الكاتب سابق على عصره ، وان اسلوبه سوف يصبح بعد قليل اكثر شيوعا لدى عدد اخر ممن يأتون بعده ، فان القارىء ، وقد تم تحذيره بتلك الغمزة الماكرة من طرف العين ، لا يفكر الا في تلك الحفنة من الكتاب ، الشعث الشعور ، الذين يضعون ،

وهم يمرون بجوار الاكاديمية الفرنسية ، عدة قنابل ، بهدف ان يحدثوا ضجة ، او يقلبوا النظام البرجوازي . وهذا هو **هنري كلوار** عضو الاكاديمية يعلن بصراحة : « ان هؤلاء الكتاب يريدون قطع الغصن الذي نجلس عليه » .

ان الغصن الذي يتحدث عنه بيت من تلقاء نفسه ، وبفعل الزمن . وليس هذا خطأ كتاب الرواية الجديدة ، اذا كان الغصن في سبيله للتآكل . ويكفي المترددين ان يرفعوا عيونهم لاعلى الشجرة حتى يروا ان فروعا جديدة ، خضراء وقوية وممتلئة بالحياة قد كبرت منذ وقت طويل : ان كلا من **عوليس** لجيمس جويس ، **والقصر** لكافكا ، قد مر عليه الان ما يقرب من اربعين سنة ، وكذلك **الضجة والرعب** التي ظهرت في الفرنسية منذ اكثر من ثلاثين سنة . وفي كل مرة كان يطلق نقادنا الافاضل في وجهها بمصطلحاتهم السحرية : طليعة ، معمل ، رواية مضادة . . ومعنى هذا كله : فلنغمض العيون ، ولنعد الى القيم « الصحيحة » في التقاليد الفرنسية . . حسنا . فماذا نجد ؟ سوف نكتفي هنا بالحديث عن ثلاث ركائز رئيسية ما زال النقد المعاصر يعتمد عليها في تناول الرواية التقليدية وهي الشخصية ، والحكاية ، والشكل والمضمون ، لنرى من اين تنبع ، والى اين تؤدي :

الشخصيـــة

ما اكثر ما جرى الحديث عن الشخصية Le personnage . ومن الغريب ان هذا الحديث لم ينته بعد . وهكذا لا يبدو ان خمسين عاما من المرض ، والتأكد من الوفاة المسجلة على ايدي روائيين كبار قد نجحت في اسقاط « الشخصية » من النصب العالي الذي وضعها عليه النقد الادبي في القرن التاسع عشر . اننا نؤكد ان الشخصية لم تعد الان اكثر من مومياء . لكنها مع الاسف مومياء متوجة بعدة قيم بالية ، متبقية من النقد التقليدي ، ذلك الذي ما زال يرى ان الروائي الحقيقي انما هو ذلك الذي « يخلق شخصيات » .

ولتبرير اساس هذه النظرة ، يستخدم النقد التقليدي الاستدلال التالي : بلزاك ترك لنا : الاب جوريو ، وديستوفسكي : الاخوة كارامازوف . واذن فان كتابة الرواية لا يجب ان تكون غير هذا . . اي اضافة بعض الصور الحديثة الى ممر اللوحات التي يتكون منها متحف التاريخ الادبي .

شخصية : كل انسان يعرف ماذا يعنيه هذا المصطلح . انها ليست مجرد « هو . . » مجهول ، او متمال ، او فاعل بسيط لحدث معبر عنه

بالفعل ، بل يجب ان يكون للشخصية اسم خاص ، مضاعف اذا امكن : اسم عائلة ، واسم ذات . كذلك يجب ان يكون لها اقارب ، وميراث ، كما يجب ان يكون لها مهنة . واذا كان لديها ممتلكات فسوف يكون هذا افضل . واخيرا يجب ان يكون لها « طابع » Caractére ، وجه تعكسه ، وماض يحدد هذا الوجه . وهذا الطابع هو الذي يملي احداثها ، ويجعلها تتصرف بطريقة محددة تجاه اي حدث . ان طابعها هو الذي يتيح للقارىء ان يحكم عليها ، يحبها او يكرهها . كما انه هو الذي سوف ينقل اسم الشخصية الى « نموذج انساني » ظل ينتظر هذا التكريم المقدس !

وهكذا يجب ان تكون الشخصية الروائية ، في نفس الوقت ، فريدة ، وان ترتفع الى مستوى طبقة بكاملها . ولهذا يجب ان يكون لها خصوص بحيث لا يمكن استبدالها ، وعموم لكي تصبح عالمية . نعم ، قد يتيح النقد التقليدي للروائي ان يتصرف قليلا ، ويتحرر من هذه القواعد بأن يختار مثلا بطلا غير مألوف عادة مثل : طفل لقيط ، او انسان ساذج ، او مجنون او شخص يبدو طابعه قابلا للقيام ببعض التصرفات المفاجئة . . لكن يجب عدم التطرف كثيرا في هذا الطريق ، لان التطرف فيه هو الذي يؤدي — راسا — الى الرواية الجديدة !

والواقع انه لا يوجد عمل واحد من الاعمال الكبرى الحديثة تنطبق عليه هذه المبادىء النقدية التقليدية . كم من القراء يتذكر اسم الراوي في **الغثيان** لسارتر ، او **الغريب** لكامي ؟ هل توجد هنا نماذج بشرية ؟ الن يكون من العبث اعتبار مثل هذه الروايات دراسة للطبائع ؟ وهل ترسم رواية سبليه ، **رحلة الى نهاية الليل** : اية شخصية ؟ ثم هل يمكن القول بأن هذه الروايات الثلاث قد كتبت بالمصادفة على لسان المتكلم ؟ ان بيكيت يغير اسم بطله وشكله في القصة الواحدة . وفولكنر يعطي — متعمدا — اسما واحدا لشخصين مختلفين . اما بالنسبة لك . . بطل القصر ، فانه يقنع باول حرف من الاسم ! انه لا يمتلك شيئا ، ليست له عائلة ولا وجه ، ومن المحتمل ايضا انه ليس مهندس مساحة .

سوف يمكننا تعداد الامثلة . لكن الواقع ان مخترعي الشخصيات الروائية بالمعنى التقليدي لم يعودوا ينجحون في ان يقدموا لنا سوى دمى ، هم انفسهم غير مؤمنين بها . ان رواية الشخصيات تنتمي الى الماضي ، وتميز عصرا انقرض بالفعل : ذلك الذي كان يزدهر فيه الفرد ، وتختفي الجماعة .

ربما يكون هذا تقدما . لكن من المؤكد ان العصر الحاضر هو بالاولى

عصر الارقام . لم تعد نجاة العالم متوقفة على وجود عدة اشخاص او حتى عدة عائلات ؛ بل ان العالم نفسه لم يعد هو تلك الملكية الخاصة ، الموروثة ، والمقيسة بالعملة ، او تلك الفريسة ، التي يجب ان نغزوها اكثر من ان نعرفها . ومن غير شك ، كان امتلاك اسم يعتبر امرا ضروريا في عصر البرجوازية الذي عاش فيه بلزاك ، كما كان من المهم وجود **طابع** في شخصية الرواية ، تماما كما كان من المهم الصراع الجسدي من اجل الوصول الى الهدف ، وممارسة السلطة الفردية .

ان عالمنا اليوم اقل ثقة في نفسه ، وربما كان اكثر تواضعا حيث انه عدل عن سلطان الفرد المطلق . لكنه ايضا اكثر طموحا فيما يتعلق بالنظر للمستقبل ، او ما وراء الطبيعة ، ولا شك في ان الايمان بالانسان قد افسح مجالا لوعي اكثر شمولا ، واقل مركزية . وهكذا اذا بدا ان الرواية تنزل البطل من مكانه ، فان النتيجة المباشرة هي انها ستفقد اهم دعائمها السابقة . لكنها اذا لم تنجح تماما في التخلص منه ، فلان حياتها قد ارتبطت بمجتمع اصبح اليوم في طريق التطور . ومع ذلك ، فاذا نجحت فان طريقا جديدا سوف يفتح امامها ، مع وعد اكيد باكتشافات جديدة .

الحكايـــــة

الرواية بالنسبة الى معظم النقاد والهواة قبل كل شيء عبارة عن حكاية **récit** . واذن فالروائي الحقيقي هو ذلك الذي يعرف كيف يقص حكاية . ان متعة السرد نفسه ، والتي تحمله من طرف الى آخر ، تتوافق تماما مع رغبته ككاتب . وهكذا فان اختراع التحولات المثيرة ، والمؤثرة ، والدرامية يكون في نفس الوقت متعته ، ويبرر عمله .

يقوم النقد التقليدي على تقويم الحكاية تبعا للمساحة المسموح بها سواء كانت عشرة اعمدة او اثنين فقط ، ومنطلقا من النقط الرئيسية : العقد وحل العقد . وبالتالي يتكون الحكم على الرواية من تقدير انسجام هذه العقد : من مسيرتها ، من توازنها ، ومن التوقع والمفاجئة اللذين يواجهان القارىء المتاني . وهكذا يعتبر من العيوب الاساسية في هذا المجال : مجرد ثغرة في الحكاية ، او مرحلة وضعت وضعا سيئا ، او انقطاع الفائدة ، او الهرولة الاكثر من اللازم .. في حين ان الحيوية والدوران يعتبران من اهم الميزات .

اما عن الاسلوب ، فليس هناك مجال للحديث . اننا نمتدح الكاتب الروائي فقط على انه كتب عمله بلغة صحيحة ، مقبولة ، ملونة ، مثيرة .. وهكذا فان الاسلوب ليس اكثر من وسيلة ، مجرد طريقة . اما اساس الرواية وقاعدتها فهو ما يوجد داخل هذا الاسلوب . انه ببساطة عبارة

عن الحكاية المروية في هـــذا الاسلـــوب .

ومع ذلك ، فابتداء من الكتاب الجادين (اولئك الذين يرون أن الادب لا ينحصر في مجرد التسلية) حتى هواة الروايات العاطفية والبوليسيـــة والرحلات .. يتطلب الجميع من الحكاية أن تكون لها مميزات خاصة . مثلا لا يكفي أن يكون الراوي مسليا . أو مدهشا ، او اخاذا لكي يكون له وزنه الانساني ، وانما يجب أن ينجح ايضا في اقناع القارىء بان المغامرات التي يتحدث عنها قد حدثت بالفعل لشخصيات حقيقية من الواقع ، كمـــا ينبغي عليه أن يظهر بمظهـــر الشاهد الـــذي عايش بنفســـه مثل هذه المغامرات . وهكذا فان اتفاقا ضمنيا يقوم بين القارىء والمؤلف : بينما يتظاهر الثاني بأنه مؤمن بما يرويه ، ينسى الاول ان هذا كله مجرد اختراع، وبذلك فانه يعدل عن الرجوع الى وثيقة اصيلة ، او ترجمة حقيقيـــة boigraphie او تاريخ معاش . واذن فان السرد الجيد للاحداث يعني التظاهر بأن ما يكتب انما يجيء تبعا لنماذج ، او « ماكيتات » ، مصنوعة سلفا ، ويقابله لدى القراء فكرة اخرى مسبقة بأن ما يروى لهم هـــو الحقيقـــة .

وبغض النظر عـــن عـــدم التنبؤ بالحـــالات ، والحوادث والتحولات العفوية ، يجب أن تسرى الحكاية دون اصطدامات ، كما لو كانت تسرى من ذاتها مع ذلك الحماس الاسر الـــذي يفرض علـــى القارىء الانخراط المفاجيء في الرواية . ان ادنى تردد أو غرابة قد تحمل القارىء الى ان يتوقف فجأة ويتساءل : اذا ما كان يقص له حكاية ! وربما هدد بالرجوع الى شهود اخرين اكثر وثاقة ؛ وهكذا بالاضافة الى تسلية القارىء لا بد مـــن طمأنتـــه !

واخيرا ، اذا اريد ان يكون الغموض كاملا ، فلا بد ان يفترض في الكاتب انه « يعلم اكثر مما يقول » . ان مفهوم « شريحة من الحياة » يبين جيدا مدى المعارف التـــي نفترضها فيـــه ســـواء فيما يتعلق بمـــا حدث او ما سيحدث .. وهكذا في داخل المدة التي يصفها ، يجب ان يعطى الاحســاس بانه لا يقدم الا ما هو اساسي ، محتفظا في نفس الوقت ببعض التفصيلات التي يقدمها من وقت لآخر الى القارىء المتطلع دائما الى المزيد . وبذلك تصبح المادة الروائية ـــ على غرار الواقع ـــ غير قابلة للنفاد .

ومع ان الحكاية تقوم اساسا على المحاكاة والعفوية فينبغي ان تظل طبيعية . لكن مع الاسف حتى مع قبول وجود شيء « طبيعي » في علاقات الانسان مع العالم ، يتضح ان الكتابة الروائية ـــ كاي شكل فني ـــ تعتبر تدخلا intervention . ان ما يصنع قوة الروائي هو بالتحديد انه

يخترع ، يخترع بحرية كاملة ، دون نموذج يحتذى . وهكذا يعتبر من اهم خصائص الرواية الجديدة انها تؤكد اغراضا مقصودة ، الى حد ان كلا من الاختراع والتخيل يصبح هو موضوع العمل نفسه . وبدون شك لا يعتبر هذا الا جانبا واحدا من جوانب التحول العام في العلاقات التي يقيمهـــا الانسان مع العالم الذي يعيش فيه . ان الحكاية ـــ كما يتصورها النقاد التقليديون ، ويتبعهم في ذلك غالبية القراء ـــ تمثل نظاما . وهذا النظام الذي يمكننا وصفه بأنه طبيعي ، يتطابق في هيكله مع استيلاء البرجوازيين على السلطة ، ويكفي القاء نظرة سريعة على منتصف القرن التاســع عشر ، الذي عاش ازدهار شكل قصصي ما زال يعتبر حتى الان هو الجنة المفقودة للرواية ، لنرى انه كان يحتوي على عدة تاكيدات من اهمهـــا : الثقة المطلقة في منطق للاشياء : عادل وشامـــل .

وبالتالي فاننا نجد ان كـــل العناصر التكنيكية في الحكاية ـــ مثـــل استخدام الفعل الماضي مع ضمير الغائب ، وتبني التسلسل التاريخي بدون حدود ، والعقد المخططة ، والمستوى البياني المرتفع بالتدريج لحركـــة العواطف ، وتوتر كل مرحلة نحو النهاية المرسومة سلفا .. ـــ كل هذا ينزع الى فرض صورة لعالم ثابت ، ومتناسق ، ومستمر ، وموحد ، وقابل لحل رموزه بصورة كاملة . وحيث ان عقلانية العالم لم توضع موضـــع الشك في ذلك العصر ، فلم تكن عملية السرد تحتوي على اية مشكلة . وبهذا اصبحت الكتابة الروائية بريئـــة كـــل البراءة .

لكن منذ فلوبير ، بدا كل شيء يترنح . وبعده بمائة سنة فقط ، لم يعد ذلك النظام سوى مجرد ذكرى .. وعلى هذا النظام ـــ الذكرى يحاول انصار الرواية التقليدية ان يضمنوا استمرارها . ومع ذلك ، يكفي ان يقرا المرء روايات مطلع هذا القرن ، لكي يلاحظ انه اذا لم يكن انحـــلال العقدة قد تحدد خلال السنوات الاخيرة ، فانه قد توقف منذ زمن طويل عن ان يمثل لحمة الحكاية وسداها : ان متطلبات الحكاية عند بروست اقل قيمة منها عند فلوبير ، وعند فولكنر منها عند بروست ، وعند بيكيت منها عند فولكنر .. لقد اصبح الامر يعني شيئا آخر . ومجرد ان « يحكي » الروائي اصبـــح امـــرا مستحيـــلا .

ومع ذلك ، فانه من الخطأ الزعم بان الرواية الجديدة لا تحتـــوي على احداث . ان اعمال بروست وفولكنر مليئة بالحكايات . لكنها عنـــد بروست لا تنهض الا لكي تعيد بناء معمار ذهني للزمن ، بينما ينسف تطور الموضوعات وتشابكها عن فولكنر اي تسلسل للاحداث ، وبهذا فهي تبدو

غارقة او هاربة مع تتابع هذا التطور نفسه . كذلك فاننا لا نفتقد الاحداث تماما عند بيكيت ، لكن ما يلاحظ انها دائما موضوع للرفض ، وللشك ، وللهدم .. وبالجملة ، فان الحكاية ليست هي موضع الخطأ ، وانما فقط طابعها التأكيد ، والهدىء ، والبرىء ..

يقول روب جرييه : « واذا سمح لي بالاستشهاد باعمالي الخاصة، فانني الفت الانتباه الى ان كلا من روايتي **الاساتيك** و **المسافر** تحتوي على خيط او « حدث » يمكن تمييزه بسهولة ، كما يمكن اعتباره غنيا بالعناصر المتفق على انها عناصر درامية . لكن اذا كان الامساك بهذا الخيط عصيا — في البداية — على بعض القراء ، فليس هذا لان حركة الكتابة اكثر اهمية من حركة العواطف والجرائم . انني اتخيل بسهولة انه خلال عشر سنوات فقط — وربما اقل من ذلك — عندما تهضم هذه الكتابة الجديدة ، وتصبح مع الزمن اكاديمية ، سوف يضطر الروائيون الجدد لان يفعلوا شيئا . وعندئذ سوف يتهمهم النقد المعاصر لهم بنفس التهم التي يوجهها الينا ، وسوف يقول لهم ان اعمالكم لا تحتوي على شيء ، وانها تفتقد الخيال ، وربما قدم لهم « اعمالنا » كنماذج قائلا : انظروا كيف كان الروائيون في الخمسينات يخترعون الحكايات ! » .

الشكل والمضمون

هنا حقيقة ، سوف تفجأ نقاد الواقعية الاشتراكية وهي ان براهينهم وقيمهم ، وحتى مصطلحاتهم فيما يتعلق بالرواية تكاد تتحد تماما مع اشد النقاد البرجوازيين تزمتا . وذلك عندما يعني الامر التفرقة بين شكل الرواية ومضمونها ، اي وضع الكتابة (اختيار الكلمات ونظامها ، استخدام الزمن النحوي ، والشخصيات ، وبناء الحكاية الخ) في مقابل المحتوى المقصود توصيله للقارىء (احداث ، افعال الشخصيات ودوافعها ، المعنى الاخلاقي الذي يستخلص من ذلك .. الخ) .

الهدف فقط هو الذي يختلف لدى نقاد الادب الاكاديمي في الغرب ، وزملائهم في دول الكتلة الشرقية . ومع ذلك ، تظل الحكاية التي يقصها الروائي هي اهم شيء لدى الجميع . وبذلك فالروائي الجيد هو ذلك الذي يخترع حكايات ، او يقصها بأفضل طريقة . ثم ان الرواية الجيدة ، هنا وهنا ، هي تلك التي يتجاوز مدلولها مجرد الحكاية ، ويتجه نحو « الحقيقة الانسانية العميقة » ، سواء كانت اخلاقية او ميتافيزيقية .

لذلك يصبح من الطبيعي ان وصف بعض الروائيين بالشكلية formalisme يعتبر احد الاتهامات الخطيرة التي تجري على اقلام مراقبي الرواية في كلا المعسكرين .

ما هو المقصود بالضبط من مصطلح الشكلية ؟ الامر واضح . انه اعطاء اهمية متزايدة للشكل — وفيما يتعلق بالتكنيك الروائي — على حساب القصة ودلالاتها . ونحن نتساءل : اليست هذه السفينة المتداعية، المقصود بها التفريق بين الشكل والمضمون ، قد غرقت منذ زمن طويل ؟!

سيقول البعض : على العكس . ان هذه الفكرة تحيا حاليا بكل قوة ، وربما اكثر من اي وقت آخر . والواقع انه اذا وجدنا هذا اللوم بالشكلية يصدر من اسوأ الاعداء — المتصالحين هنا — فليس هذا بالتأكيد نتيجة لقاء عفوي . انهم متفقون على الاقل على نقطة اساسية ، وهي عدم قبول اعطاء الادب شرط وجوده الاساسي ، وهو الحرية : البعض لا يريدون أن يروا في الادب الا ادلة لخدمة الثورة الاشتراكية ، والبعض الآخر يطلبون منه قبل كل شيء أن يعبر عن المذهب الانساني الغامض والذي صنع من قبل ذلك العهد الجميل لمجتمع اصبح الان على حافة التداعي ، وليس هؤلاء وحدهم هم آخر المدافعين عنه .

وفي كلا الحالين ، يعني الامر حصر الرواية على دلالة تعتبر خارجية عنها ، وجعلها وسيلة لتحقيق قيمة تتجاوزها ، شيء ابعد من الواقع ، روحي او ارضي ، سعادة مستقبلة ، او حقيقة خالدة . هذا في حين انه اذا كان الادب « شيئا » ، فانه يكفي بالتالي نفسه ، ولا يحتوي على ما هو ابعد منه .

وقد يمكن الاستشهاد هنا بذلك الرسم الكاريكاتيري الروسي لاحد عجول البحر الذي يقول لزميله ، مشيرا الى حمار وحشي (مخطط) : « انظر . . هذه هي الشكلية » . ان وجود العمل الفني ووزنه لا ينبغي ان يعلقا على تفسيرات اخرى . انهما ليسا مربعا في خانة الكلمات المتقاطعة بحيث يصبح من الضروري ربطهما بما حولهما من مربعات ! ان العمل الفني كالعالم ، عبارة عن شكل حي ، وعندما يوجد فانه في غير حاجة الى تبرير . الحمار المخطط واقع ، وليس جحده امرا معقولا ، مع ان خطوطه بدون شك مجردة من المعنى . وكذلك الامر فيما يتعلق بسيمفونية ، او لوحة ، او رواية . . انه في شكلها يكمن واقعها .

لا يوجد بالنسبة لكاتب ما طريقتان لكتابة نفس العمل فهو اما ان يكون بهذا الشكل او لا يكون . وهو عندما يفكر في رواية ، فان الكتابة هي ما يشغل باله اولا . . انه يمتلك في راسه حركات الجمل ، ومعمار خاص، ومصطلحات معينة ، وبناءات نحوية متنوعة . . تماما مثل رسام في راسه خطوط والوان . وكل ما يأتي بعد ذلك ، فليس الا اختراعا ناتجا عن الكتابة نفسها . ويمكن القول بأن الرواية الجديدة تخلق نفسها بنفسها .

وفي اللحظة التي ينتهي فيها العمل ، فان ما يدهش القارىء هو ايضا هذا الشكل ، الذي يحاول البعض احتقاره ، صحيح انه شكل لا يحدد المعنى بصورة دقيقة ، وانما يمثل بالنسبة للقارىء ذلك العالم الخاص بالكاتب وحده .

ولنجرب مع اي عمل هام في الادب الفرنسي : مثلا رواية **الغريب** لكامي . يكفي ان نغير فيها زمن الافعال ، وان نحل محل المتكلم (انا) ضمير الغائب الشهير في الروايات التقليدية (هو) .. حتى نقف بسرعة على عالم مختلف تماما عن عالم كامي . من المؤكد انه سيختفي تماما ، وتضيع بالتالي كل فائدة عمله . ايضا يكفي ان يقوم انسان بتغيير ترتيب الكلمات في **مدام بوفاري** حتى لا يبقى شيء من فلوبير !

واذن فان الاسلوب او الشكل هو الذي يكون اساس عمل الروائيين الجدد . اما الحديث عن مضمون للرواية مستقل عن الشكل فان هذا يعني مسخ الجنس الروائي كله من مجال الفن . لان العمل الفني لا يحتوي على شيء آخر ، بالمعنى المحدد للكلمة . كما انه لا يخضع لاية عبودية ولا يقبل ان نكلفه بأية وظيفة اخرى . بل انه لا يقوم على اية حقيقة موجودة من قبله ، ويمكن القول بانه لا يعبر عن شيء آخر سوى ذاته . انه يخلق بنفسه توازنه الخاص به ، ويوجد لنفسه معنى . واخيرا فانه اما ان ينهض ، واقفا بنفسه ، مثل الحيوان الوحشي ، واما ان يسقط ..

ARCHIVE

وهكذا يمكن الوقوف على مغالطة ذلك التعبير المفضل لدى النقاد المعاصرين : « ان هذا الكاتب لديه شيء يقوله ، وهو يقوله بصورة جيدة » . اننا على العكس من ذلك تماما نعلن ان الكاتب الحقيقي ليس عنده ما يقوله . ان ما يمتلكه فقط انما هي طريقة للقول » وبالتالي يصبح من واجبه ان يخترع عالما باكمله ، وهذا فقط ابتداء من لا شيء ..

من الظلم اذن وصف الروائيين الجدد بالشكلية ، مفهومة بمعنى انهم يفضلون الشكل على المضمون .. كلا .. انهم « يخترعون » الشكل ، جاعلين منه ضرورة فنية تفرض نفسها بنفسها . وليس معنى هذا ان الشكل لديهم عبارة عن هيكل عظمي خال من اللحم . انه على العكس مليء بقيم اخرى جديدة . وبالتأكيد فانها تختلف كثيرا عن تلك القيم التي يؤمن بها — معنا — البرجوازيون واصحاب الواقعية الاشتراكية .

اما الجمهور فانه بدوره يربط بين الاهتمام بالشكل والبرودة . لكن هذا الربط سوف يختفي في اللحظة التي يدرك فيها جدا ان الشكل نفسه

عبارة عن « اختراع » ، وليس مجرد « وصفه » . ومن المؤكد ان كلا من البرودة والشكلية يعيشان في ظل احترام عدة قواعد ميتة . اما بالنسبة الى كل الروائيين الكبار منذ حوالي قرن ، فنحن نعلم الان من مذكراتهم وخطاباتهم الخاصة ان اهتمامهم الدائم والعفوي انما كان في الشكل . وهو ما اعطى لاعمالهم الحياة ..

باريس
حامد طاهر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

زمني يتكلم لغة واحدة

شعر: محمد علي الرباوي

من نافذة الاحلام أطل عليها
وجها تعلوه مئذنة تتدلى منها
أصوات الناقوس ، أحدق في عينيهـا زمنـا ...
اقرأ كتب الدهشة بينهما ،
تتحول بئرا ،
أتحول حوتـا

يحمل في الصدر سلاسل حب
وجداول ظل مفتول الجبهة والساعد ...
يأتي الرمل ، يغطي البئر ، تموت الحيتان ، وخوفي
يتحطم عند سواحل ذاتي .
آه يـا منيـة نفسي
لو تغسل وجهي الامطار لكي اتحول اما مئذنة أو ناقوسا ..
آه يا قدري .. علمني انى اختار وانى اشنق
زمني لا يحكم الا بالشنق
زمني لا يتكلم الا لغة واحدة : الشنق ، الشنق ، الشنق ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مقابلة مع أحد أقوى المرشحين للفوز بجائزة نوبل للآداب

الكاتب الهندي

ف. س. نيبـاول

○ البريطانيون فخورون جداً ببلادتهم

○ العالم الاسلامي يتجه ببطء للعلمانية

○ حضارة العرب لم تكن منغلقة على نفسها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com


ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

البيان — ١٥٣ —

ف.س. نيبالول كاتب روائي هندي يقيم في بريطانيا . بدا حياته روائيا ثم اقلع عن كتابة الرواية ، في هذا الحوار الذي اجرته معه التيوزويك الامريكية يجيب نيبالول على عدة اسئلة حول الحضارة والعالم الثالث والفن :

● لماذا فقدت اعمالك الاخيرة حس المرح الذي كان يميز كتبك الاولى واصبحت اكثر جدية واكثر جفافا في الحقيقة ؟

— حتى اكثر كتبي مرحا بدأت بتأليفها وانا اعيش حالة سوداوية المزاج نتيجة الاحساس الشخصي الذي كان يلازمني باليأس والانطفاء . ولكن حين تكون شابا فان رد الفعل الذي تواجه به هذه الحالات لا يكون سوى الضحك . وبمرور الزمن يتغير العالم بالنسبة لك حين تغدو اكبر سنا واقل براءة .

وبافتقادك لاحساسك بالبراءة الاولى يغدو العالم بالنسبة لك اكثر جدية واكثر جفافا . لكنني رغم ذلك لم افتقد الاحساس بالمرح كما لم تفتقده اعمالي فما ازال اضحك كثيرا واجد الكثير مما يدفعني الى الضحك والسخرية فيها .

● كل حياتك عشتها بالمنفى ، فهل تجد بديلا هذه الايام ؟

— صحيح انني لم استمتع بحياتي في انجلترا ، غير انها ظلت بالنسبة لي المكان الوحيد رغم انه يبعث على الاحباط ، فانت لا تستطيع ان تبقى وسط من لا يحبون اعمالك ولا يجدون فيها متعة لهم . وفي انجلترا الناس فخورون جدا بكونهم بلداء .

فهنا يدفعون ثمنا كبيرا لكل ما هو بلادة وبله . ومع هذا فانا لا اجد مكانا اخر تستقر فيه جذوري وقد احببت بكل تاكيد هذه الزاوية التي اعيش بها في ويلتشاير .

● كان متوقعا من رجل ولد في ترنداد في الهند ان يكون لديه العاطفة تجاه العالم الثالث ، لكنك من اقسى نقاد هذا العالم الذي ولدت فيه .

— الناس يحبون ان يكون فيهم ما يميزهم . يسار ، يمين ، كولونيالي او ضد الكولونيالية ويحبون الكليشهات . وان تستخدم الكليشيه بسلطوية فهذا احد علامات النضج . وبالنسبة لاوروبا وامريكا وبقاع اخرى وللاجناس والثقافات المتخلفة فان الماركسية تعتبر اكبر هذه الكليشيهات. وهي كليشيه لكي تكتشف بها وتفكر وتمتلك السيادة . وكثير من الناس ينقدونني بطريقة ماركسية . فهذه الطريقة تمنحهم طريقة لفهم العالم .

● **ماذا تعني « بالاجناس المتخلفة » ؟**

ـــ تلك البلدان التي آفاقها الفكرية والعقلية محدودة جدا ، وهـــذه مسالة لا تتعلق بالجنس او اللون فانا اخشى على البريطانيين مـــن ان يصبحوا جنسا متخلفا نتيجة فخرهم بالبلادة .

● **هل تريد ان تقول ان مستويات السلوك في العالم الثالث متدنية عـــن مستويات السلوك في الغرب ؟**

ـــ عبارة « العالم الثالث » بحد ذاتها كليشيه ، فانا احس ان هناك حضارة عالمية كبيرة في الوقت الذي يقال انها غربية . وان هذه الحضارة خلاصة كل الحضارات وساهمت فيها اجناس متعددة خذ الحضارة العربية مثلا من القرن السابع حتى القرن الثاني عشر لم تكن حضارة مغلقـــة لا تتأثر بما يدور خارجها . فقد اخذت وتفاعلت مع الفن في بـــلاد الفرس والرياضيات في الهند وما تبقى من فلسفة اليونان . والخطأ الذي يرتكبه الغربيون هو ظنهم بخيلاء ان الحضارة العالمية محصورة بجنس نقي مـــن الاجناس ، والذين لا يستطيعون ان يستوعبوا التاريخ هم الذين يقولون انني اريدهم كالاوروبيين . اذ يدعون الى الانقطاع عن الحضارة التي اراها عالمية وشاملة ولا تخص جنس او بلد محدد ، بالعودة لما كانوا عليه ، ان هذا ما يحزن قلبي ، فانا لدي رؤية اخرى للعالم .

● **انت تواصل العمل في كتاب جديد لك عن الاسلام في الوقت الـــذي بدات فيه التعاليـــم الاسلامية نهوضها ، ما رايك في ذلك ؟**

ـــ الثروة جعلت العالم المسلم على اتصال بالعالم الخارجي والتعاليم الاسلامية اخذة بالتحول نحو العقلانية ولكن هذه العملية بطيئة جدا .

● **كيف تنظر لنفســـك الان بعد كتبك الستة عشر ؟**

ـــ كمؤلف سأكون مسرورا لو ان القراء يعرفون فقط ان كتبي مكتوبة بشكل جيد وبعناية ويستوعبان طريقة بنائها ، وانا سعيد عندما اجد ان كتابا كتبته قبل عشرين سنة ولا يزال فيـــه ما يقوله للناس ، او يعني شيئا لهـــم اليوم .

□